٥٦١

دروس من

الثورة الاسلامية

في ايران

محمد مهدي الآصفي

*

مؤسسة النشر الأسلامي (التابعة)
لجماعة المدرسين بقم المشرفة (ايران)

Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

دروس من

الثورة الاسلامية

في ايران

محمد مهدي الآصفي

مؤسسة النشر الاسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

(RECAP)
BP63
.I68A823
1989

دروس
من الثورة الإسلامية في إيران

■ المؤلّف: الشيخ محمّدمهدي الآصفي □
■ الموضوع: وعي اسلامي □
■ اللغة: عربي □
■ عدد الأجزاء: جزء واحد □
■ عدد الصفحات: ٢٥٢ □
■ الطبع: مطبعة مؤسّسة النشر الإسلامي □
■ الطبعة: الثانية □
■ المطبوع: ١٠٠٠ نسخة □
■ التاريخ: ١٤١٠هـ.ق □

مؤسسة النشر الاسلامي

التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL
32101 029027800
DS 13817

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ربّ العالمين، والصلاة والسّلام على محمّد وآله الطاهرين.

لايخفى أنّ من أعظم مامنّ الله به على المؤمنين والمستضعفين في العالم هذه الدولة الإسلامية المباركة، التي انطلقت في ايران لتحطّم عروش الظلم والفساد، وذلك بقيادة الإمام الخميني الكبير (رضوان الله تعالى عليه)، وبتضحيات الشعب الإيراني المسلم وببركات أهل بيت العصمة عليهم السّلام.

ولمّا كان المؤمنون بحاجة إلى تسليط الأضواء على الجوانب التي ترتبط بأهداف هذه الثورة وبكيفية التعامل معها، أفادنا سماحة الشيخ محمّد مهدي الآصفي هذه المجموعه من المحاضرات التي ألقاها في عدّة **مؤتمرات، والتي تلقي الضوء على تلك الجوانب من هذه الثورة** المعطاء.

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لنشر معالم هذه الثورة المباركة، وأن يأخذ بأيدينا لما فيه صلاح ديننا ودنيانا، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مؤسّسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

الإهـــداء

ان قـوام كل ثـورة : قطرات من الـدم ، وقـطرات من الدمع ، وقطرات من الحبر

وإذا كانت الأيام حبستني أن أبذل في الثورة الاسـلامية المبـاركة في إيـران قطرات من الـدم ، فهـا هي قـطرات من الحبـر ، ممزوجـة بقطرات من الـدمـع ، أُهـديهـا الى نـائب الامـام الحجة (عـج) ، وخليفتـه ، وقـائـد هـذه الامّة ، ورائـدها « الامـام الخميني » حفظه الله ، الـذي اعز الله بـه الاسـلام واعلى بـه كلمته ، وانتقم بـه من الـظالمين الـذين عاثوا في الارض ، فسـادا ، والى أرواح الشهـداء الأبـرار من الشعب الإيراني المسلم المجاهد البطل . . .

محمد مهدي الآصفي

بسم الله الرحمن الرحيم

الثورة الإسلامية ـ التي قام بأعبائها الشعب الإيراني المسلم بقيادة الإمام الخميني الراحل ـ قدّس سرّه ـ في السنوات الأخيرة، والتي تمخّضت عنها الجمهورية الإسلامية في إيران، وآذنت بمرحلة جديدة في تاريخ العالم السياسي المعاصر ـ تعتبر واحدة من أكبر أحداث التاريخ الإنساني المعاصر، وأحفلها بالتجارب، وأغناها بالمفاهيم والأفكار، وأكثرها تأثيراً في مسار أحداث التاريخ السياسي في عصرنا.

وقد كان في هذه الثورة الإسلامية المعاصرة ـ كأيّة ثورة اخرى ـ نقاط قوّة ونقاط ضعف، وتجارب ناجحة وأُخرى لم يكتب لها النجاح، وأعمالاً ومشاريع وشعارات نبعت من متن الثورة، عمّقت الثورة وكرّستها على الصعيدين الإسلامي والعالمي، كماظهر فيها أعمال وشعارات أخّرت بالثورة وأضعف دورها فيهما.

ولمّا كانت هذه الثورة بداية لمرحلة جديدة في التاريخ الإسلامي المعاصر وإيذاناً باتّساع رقعة الثورة الإسلامية في العالم واحتدام المواجهة بين الإسلام والكفر كان حريّاً برجال الفكر والحركة الإسلامية أن يعطوا هذه الثورة الكثير من اهتمامهم وعنايتهم وأفكارهم.

وانطلاقاً من هذه الإحساس قمت بإلقاء مجموعة من المحاضرات عن الثورة الإسلامية في إيران في عدد من المؤتمرات والندوات الإسلامية، وهذه حلقات ثلاثة من تلك المحاضرات وهي:

١ ـ في علاقة الثورة بالله، وهي محاضرة أُلقيت في المؤتمر السنوي لرابطة الشباب المسلم في لندن عام ١٩٧٩.

٢ ـ الأعماق الحضارية للثورة الإسلامية المعاصرة، وهي مجموعة ثلاث محاضرات أُلقيت في رابطة الشباب المسلم بلندن عام ١٩٨٣.

٣ ـ خطّ الإمام، وهي محاضرة أُلقيت في مؤتمر الكوادر الإسلامية العراقية بطهران في ربيع الأول سنة ١٤٠٥.

وطبعت هذه المحاضرات في ثلاث حلقات وأُعيد طبع بعضها مرّات عديدة خلال هذه الفترة، وأخيراً رغبت مؤسّسة النشر الإسلامي بإعادة طبعها جميعاً في كتاب واحد.

أسأل الله تعالى أن يوفّقني لإخراج سائر حلقات هذه المحاضرات والدروس تباعاً، وهو الملهم والموفّق للسداد والصواب.

محمّدمهدي الآصفي

قم ـ ٢٩ ربيع الثاني ١٤١٠

في علاقة الثورة بالله

الثورة الإسلامية المباركة في إيران ، كانت ثورة مباركة بالمعنى الدقيق والواسع للكلمة ، فقد أكسبت هذه الثورة الدعاة الى الله تعالى بفيض من العطاء والتجارب الخصبة والدروس والعبر والأفكار والمفاهيم .

ولقد كانت هذه الدروس والأفكار والمفاهيم قائمة في تراث الدعوة ، فيما يحكي الله تعالى لنا ـ نحن الدعاة الى الله ـ من قصص الماضين في الصراع بين الحق والباطل ، وكانت قائمة في نفوس الدعاة ووعيهم وقلوبهم ، لكنها كانت نظريات وأفكاراً ، آمنّا بها إيماناً نظرياً ، فتحولت هذه النظريات التي كنا قد آمنّا بها من قبل الى واقع حي متحرك ، نلمسه ، ونراه ، وتملأ نفوسنا وتعمر قلوبنا ، وجسّدته الثورة الإسلامية . ومنحته الحركة والحياة والدم .

وأسأله تعالى أن يوفقني في هذا المؤتمر المبارك الذي

شاء الأخوة المؤمنون أن يقيموه تحت شعار (الدعوة الى الله) أن أستخلص لكم أهم هذه الدروس والأفكار والمفاهيم .

* * *

وأول هذه الدروس وأهمها في نظري . . . أننا عرفنا الله نوعاً جديداً من المعرفة .

وأرجو ألا تستغربوا فإن لمعرفة الله تعالى حقولاً وآفاقاً واسعة . . . ومن هذه الآفاق والحقول معيّة الله تعالى للمؤمنين في معركتهم الضارية ضد الكفر .

وليس من شك أن لإحساس المؤمنين بمعيّة الله ونصر الله تعالى لهم قيمة كبيرة في دعم القلّة المؤمنة وشد صفوفهم ودعمهم ورفع معنوياتهم . ويولّد هذا الاحساس لدى الداعية شعوراً بالقوة والإستعلاء في ساحة المعركة ، فهو لا يقاتل وحده ، وإنما يقف في الساحة ويقاتل ، ويهاجم ، ويدافع ، ومعه الله تعالى .

والله تعالى ، في عمق وعي المؤمن وقلبه ، أكبر من أي قوة وأقوى من أي طاغوت مهما بلغت قدرته وشوكته ، والمؤمنون يرددون هذا المفهوم ضمن شعار (الله أكبر) في

كل يوم في صلواتهم عشرات المرات .

وهو يرسخ في نفس الإنسان المؤمن إيماناً لا حد له بعظمة الله تعالى وجلاله وكبريائه وقوته وعزّته وعظمته اللامتناهية ، وتتضاءل أمام هذا الشعار قوة الطغاة وشوكتهم .

فتنقلب العقيدة ، وينقلب الشعار ، وتنقلب الصلاة الى شعور بالقوة والعزّة .

وكذلك كانت الصلاة ، وشعار ، (الله أكبر) في الصلاة تمنح المؤمنين قوة ، وعزة ، وصموداً ، وإستقامة في ساحات المعركة .

فكيف إختفت حيوية هذا الشعار في حياة الأمة اليوم ، وكيف فقدت الصلاة دورها في ساحات القتال . . وكيف أصبحت الصلاة والأذان لا تعني شيئاً في حياة هذه الأمة ، يهابه أعداء الله . . . ان لذلك قصة أريد أن أحكيها لكم : فشل الإستعمار في فصل الدين عن السياسة نظرياً ، على الأقل ، في الاوساط الواعية المؤمنة من المسلمين ، وظلت الطبقة الواعية المؤمنة من هذه الأمة تؤمن بأن السياسة شأن من شؤون الدين ، وأنه في الصميم من الدين .

ولكن مما لا شك فيه أن الاستعمار نجح في فصل العقيدة عن السياسة حى على الصعيد النظري في هذه الأمة .

وفي رأيي أن فصل العقيدة عن السياسة أخطر من فصل الدين عن السياسة .

فأصبح المسلمون يفهمون السياسة بصورة مستقلة تماماً عن الناحية الايمانية والإعتقادية ، ويفهمون العقيدة كذلك بمعزل عن السياسة على شكل حقلين منفصلين .

وكأنّ السياسة تجري في عالم مستقل عن مشيئة الله تعالى ، وفق قوانين ومعادلات بشرية ، وبموجب ميزان القوى السياسية والإقتصادية والعسكرية ، وليس لله تعالى مشيئة وإرادة في عالم السياسة .

ولكي أفتق الجرح الذي تعاني منه الأمة أحب أن أقول : في عقيدة الكثيرين : ان الله تعالى خلق السماوات والأرضين والمجرات والكون الكبير ، وخلق البحار والجبال والأنهار وبأمره تعالى ينزل الغيث وتخضر الأرض وتثمر الأشجار ، وتتقلب الفصول ، وله في كل ذلك الأمر من قبل ومن بعد .

ولكن السياسة تجري حول محور آخر ، هو محور القوتين الأعظمين (كذا) وأحلافهما ، وشبكاتهما التجسسية ، وقواتهما العسكرية ، وقدراتهما الإقتصادية ، وسياستهما ، فإذا اتفقتا فالويل للعالم الثالث منهما ، وإذا إختلفتا فالويل للبشرية . . . وهما الى الوفاق والتفاهم أقرب في الغالب منهما منه الى الإختلاف .

وأما العالم الثالث ، أو ما يسمونه كذلك ، فلا قيمة له في المعادلات السياسية ، ولا يشكل قوّة واعتباراً وليس للإيمان بالله تعالى وقدرته وقوته وعظمته شأن في هذا العالم ، فهو تعالى القوي المتعال ، ولكن السياسة لها شأنها الخاص ومعادلاتها الخاصة ، ولا دخل لهذه العقيدة في المعادلات السياسية .

هذه هي الحقيقة المرة بكل مرارتها وقسوتها .

وكيف أصبحنا كذلك :

بكل بساطة تعلمنا السياسة في مدرسة الإستعمار وأخذنا نفهم السياسة ونناقشها ونحلل ونفسّر الأحداث السياسية . وأحياناً فيما بيننا نحن المؤمنين . وفي مجالسنا الخاصة بهذه الذهنية .

وهذه المدرسة السياسية التي أثرت في نفوسنا وفي فهمنا للسياسة من حيث لا نشعر ، مدرسة يهودية قديمة معروفة ، كانت ترى أن الله تعالى لما خلق الكون والانسان ، تخلّى عن الحكم والقبض والبسط والأمر في حياة الناس وأصبح الانسان هو الذي يحكم ويقبض ويبسط ويأمر في حياته . يحدّثنا عنهم القرآن الكريم في سورة المائدة :

﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلّت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ﴾[1] .

وتحولت هذه العقيدة اليهودية القديمة الى أساس علماني في فهم السياسة ، وتحليلها ، ومناقشتها ، وترقب النتائج السياسية والتنبوء بها. ثم تسلّل هذا المفهوم العلماني اليهودي عن السياسة الى مجتمعنا الإسلامي ، وأصبحنا نتعامل معه كحقيقة ثابتة لا نقاش فيها .

ومن الشواهد على ذلك الأحداث التي سبقت الدولة الكريمة المباركة في إيران .

فقد كنت أتوخّى أن أفهم رأي المثقفين الواعين من

---

(١) المائدة ، الآية ٦٤ .

المسلمين في خضم الأحداث ، فلم أجد إلا قلّة قليلة كانت واثقة بالنصر ، وأكثر من رأيت من المثقفين كانوا يرون أن الورقة الرابحة لأمريكا على كل حال ، وأن نتائج هذه الحركة لا تتخطى سقوط وزارة وقيام أخرى ، وأن هذه الثورة لا يمكن أن تتجاوز حدود الوفاق الدولي القائم بشأن إيران ، وأن أمريكا لن تتخلّ عن إيران وعن النظام الملكي ، وأن القضية لا تتجاوز محاولة أمريكية لتأديب الشاه وتحجيم سلطاته ، وأن رأس الحبل بيد اليسار ، والمؤمنون هم الضحايا ، وأن مراجع الدين ينقصهم الوعي السياسي وقضيتهم خاسرة بالتأكيد ، وأن ثورة الشارع لا يمكن أن تزعزع أركان النظام الشاهنشاهي العتيد ، وأن هناك لعبة خفية تكشفها الأيام فيما بعد ، وأن أمريكا لا يمكن أن تسكت عن آبار النفط وقواعدها العسكرية الضخمة في إيران ، وأن روسيا لا يمكن أن تسكت عن الغاز ومصالحها في إيران وأنّ ، وأنّ . . .

وهذا كله صحيح ، على إختلاف مذاهب الناس في السياسة ، لو كان الأساس لفهم السياسة : (يد الله مغلولة) . أما عندما ننطلق من منطلق : (بل يداه مبسوطتان) فإن الأمر يختلف تماماً ، والمعادلات السياسية وموازين القوى تتطاير ، ويتضاءل دورها وقيمتها .

ولست أريد أن أناقش ، ولست بصدد أن أنتقد ، وأرى أن هذه الحالة الذهنية هي نتيجة الإحتكاك المستمر بالصحافة والإذاعة العلمانيين ، وإنما أريد أن نتلافى ما سبق بتكوين ذهنية إسلامية قرآنية في فهم السياسة .

ولسوف نرى ، إن شاء الله ، أن القرآن يشبع هذه القضية ، ويتناولها بكل دقة وإستيعاب من أطرافها ، ويصنع منها نظرية متكاملة الأطراف .

وحينما يستعرض المؤمن الداعية آيات القرآن الكريم بهذا الصدد ، ويضعها في اطارها ، ويربط بينها يعجب كيف غفل عن هذه الحقيقة التي يعطيها القرآن الكريم كل هذا التأكيد .

* * *

لا أريد أن أدخل في تفاصيل الآيات الإعتقادية التي نتلوها في كتاب الله ، والتي يربط القرآن الكريم فيها كل شيء في هذا الكون بمشيئة الله تعالى ، وأن الأمر له من قبل ومن بعد ، ولا يعزب عن علمه شيء ، ولا يخرج عن قبضة سلطانه خارج ، ووسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم . . . فإن

ذلك حديث يطول أمره وإنما أدخل مباشرة ، فيما وعد الله تعالى به المؤمنين من النصر ، وأنه تعالى لن يتخلّ عنهم في صراعهم مع الباطل ، وأن قوة الباطل وشوكته وسلطانه لن تؤثر في نتيجة المعركة بحال من الأحوال ، ولن تحول دون نصر الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ، ويثبت أقدامكم ﴾[1] .

﴿ إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ﴾[2] .

﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم ، وينصركم عليهم ﴾[3]

﴿ ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز ﴾[4] .

﴿ بل الله مولاكم ، وهو خير الناصرين ﴾[5] .

---

(١) محمد ، الآية ٧

(٢) غافر ، الآية ٥١ .

(٣) التوبة ، الآية ١٤ .

(٤) الحج ، الآية ٤٠ .

(٥) آل عمران ، الآية ١٥٠ .

﴿وإن تولوا فاعلموا أنَ الله مولاكم ، نعم المولى ، ونعم النصير﴾ (١)

﴿وإعتصموا بالله ، هو مولاكم ، فنعم المولى ، ونعم النصير﴾ (٢)

﴿فإنَ حزب الله ، هم الغالبون﴾ (٣)

﴿وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً﴾ (٤)

﴿وكفى بربّك هادياً ونصيراً﴾ (٥)

﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين﴾ (٦)

﴿فإنّ مع العسر يسراً ، إن مع العسر يسراً﴾ (٧)

---

(١) الأنفال ، الآية ٤٠ .
(٢) الحج ، الآية ٧٨ .
(٣) المائدة ، الآية ٥٦ .
(٤) النساء ، الآية ٤٥ .
(٥) الفرقان ، الآية ٣١ .
(٦) البقرة ، الآية ٢٤٩ .
(٧) الإنشراح ، الآية ٥ ـ ٦ .

﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإنّ الله لمع المحسنين ﴾ (١)

ويقسم الله تعالى لنبيه أنه لم يتخلّ عنه :

﴿ والضحى ، والليل إذا سجى ما ودّعك ربك وما قلى ﴾ (٢)

ويجعل الله تعالى نصر المؤمنين حقاً عليه عز وجل :

﴿ كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي ﴾ (٣) .

﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ (٤) .

﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، إنهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ (٥) .

ولكي تكون القضية حيّة تعيش في حياة الدعاة يذكر لهم القرآن الكريم نماذج من تاريخ الصراع بين الحق

---

(١) العنكبوت ، الآية ٦٩ .
(٢) الضحى ، الآيات ، ١ ، ٢ ، ٣ .
(٣) المجادلة ، الآية ٢١ .
(٤) الروم ، الآية ٤٧ .
(٥) الصافات ، الآيات ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ .

والباطل ، حيث تقف الاحزاب امام حزب الله ، ويواجه انصار الطاغوت انصار الله تعالى ، ويعلن هذا الانسان الضعيف الحرب مع الله تعالى ، ويكيد ويمكر بحزب الله .

وينظر الإنسان الى هذا التقابل في المكر والكيد بين الله تعالى القوي العزيز ، وخلقه الطغاة الضعفاء ، فلا يملك نفسه من أن يبتسم ، ولا يتردد لحظة واحدة في نتيجة هذه المقابلة :

﴿ ويمكرون ، ويمكر الله ، والله خير الماكرين ﴾ (١) .

﴿ ذلكم ، وأنَّ الله موهن كيد الكافرين ﴾ (٢) .

﴿ والله غالب على أمره ، ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (٣) .

ثم يذكر تعالى لعباده امثلة وشواهد من نصره لانبيائه وعباده الصالحين في حربهم وصراعهم مع الطاغوت :

﴿ ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه ﴾ (٤) .

---

(١) الأنفال ، الآية ٣٠ .

(٢) الأنفال ،الآية ١٨.

(٣) يوسف ، الآية ٢١

(٤) هود ، الآية ، ٥٨ .

﴿ فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه ﴾[1] .

﴿ ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه ﴾[2] .

وعن أنصار المسيح ـ عليه السلام ـ يقول تعالى :

﴿ فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم ، فأصبحوا ظاهرين ﴾[3] .

ثم يذكّر النبي (ص) والمؤمنين بما سبق من تأييد الله تعالى له وللمؤمنين في صراعهم المرير مع المشركين :

﴿ هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴾[4] .

﴿ واذكروا إذ أنتم قليل ، مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس ، فآواكم وأيّدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴾[5] .

﴿ إلاّ تنصروه ، فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين

---

(١) هود ، الآية ٦٦ .
(٢) هود ، الآية ٩٤ .
(٣) الصف ، الآية ١٤ .
(٤) الأنفال ، الآية ٦٢ .
(٥) الأنفال ، الآية ٢٦ .

كفروا ثاني إثنين ، إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه : لا تحزن إنّ الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه ، وأيّده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا﴾ (١) .

﴿ولقد نصركم الله ببدر ، وأنتم أذلة﴾ (٢)

﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين﴾ (٣) .

هذه هي الحقيقة الربانية الكبرى التي كدنا أن ننساها او نسيناها بالفعل ، لولا رحمة الله ، فكاد المؤمنون أن يتصوروا أنهم في ساحة الصراع مع الكفر ، وحدهم ، وقد كان الله معهم في مواقفهم حين البأس ، وفي ساعات المحنة ، وداخل الزنزانات ، وكان الله معهم في غرف التعذيب ، وبعين الله كانوا يتحملون العذاب والاضطهاد .

وليت المؤمنين كانوا يعلمون أن عذابهم بعين الله الرحيمة ، وأن الله لو شاء لاوقف قلوب معذبيهم وشلّ

---

(١) التوبة ، الآية ٤٠ .
(٢) آل عمران ، الآية ٢٣ .
(٣) التوبة ، الآية ٢٥ .

ايـديهم ، وأعمى عيـونهم عنهم ، وأن اليـد التي تعصـر قلوبهم يـد أرحم الراحمين ، وأنهم يألمون ويضجون بسمع الله ، ويتحملون السياط بعين الله ، إلاّ ان ذلك خير لهم لـو كانـوا يعلمون،وأنّ اعـدائهم يتعذبـون ، ويعـانـون كـما يعـانـون ، وتعتصـر الآلام قلوبهم ، كـما تعتصـر قلوبهم ، ويفقـدون اعزتهم كـما يفقـدون . وتلك سنـة الله في الـذين آمنـوا والذين كفـروا وشاقـوا الله ورسولـه من غـير فـرق إلاّ انكم ترجون من الله مـا لا يرجـون ، وتجدون من نصـر الله تعالى وتأييده ، مالا يجدون .

﴿إن تكـونـوا تـألمـون ، فـإنّهم يـألمـون كـما تـألمـون ، وترجون من الله ما لا يرجون﴾[1] .

وأن طـريق ذات الشوكـة الذي أراده الله تعـالى لهم الى النصر خير لهم من أن يأتيهم النصر غنيمة باردة رخيصة .

﴿ وتـودون أن غير ذات الشـوكة تكـون لكم ، ويريـد الله أن يحق الحق بكلماته ، ويقـطع دابر الكـافرين ، ليحق الحقّ ، ويبطل الباطل ، ولو كره المجرمون﴾[2] .

---

(١) النساء ، الآية ١٠٤ .

(٢) الأنفال ، الآية ٧ ـ ٨ .

وان نصر الله تعالى ليس ببعيد عنهم لو أنهم صبروا .

﴿ ألا إنّ نصر الله قريب ﴾[1] .

* * *

وتسأل كيف ينصر الله الفئة القليلة الفقيرة الضعيفة على الفئة الكثيرة المنية القوية ، على خلاف ما يتصوره الناس في موازين القوى ، والمعادلات السياسية ، والحسابات العسكرية والإقتصادية .

وجواب القرآن الكريم واضح وبسيط ، ليس فيه تعقيد الموازنات السياسية المعاصرة ، والتي تعلّمناها ، وتعودناها ، رغماً منا ، إن الجواب بسيط بساطة التوحيد ، وأن في التوحيد جواباً واضحاً لكل هذه التساؤلات.

ونرجع الى القرآن الكريم مرة أخرى ، لنلمس الخطوط التفصيلية لهذا القانون :

إن أهمّ عناصر النصر أربعة : القوّة . المال . التسديد . التثبيت .

---

(١) البقرة ، الآية ٢١٤ .

وإن فئة آتاها الله تعالى هذه العناصر الأربعة ، لا يجري شيء بينها وبين النصر .

ولنستعرض . هذه العناصر الأربعة في كتاب الله :

* * *

والعنصر الأول القوّة :

وهي التي تملأ عيون الناس ، قبل كل شيء ، وتوجه أذهانهم وأفكارهم وسلوكهم . فإذا وثقنا ، وآمنا بمعية الله تعالى للقلة المؤمنة ، فلن تعوزها بعد ذلك قوة .

فإن ما في السماوات والأرض جند لله تعالى ، يأتمر بأمره ، وينتهي بنهيه ، ولا يشذ عن ذلك خلق في السماء او الأرض .

﴿ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً﴾[1] .

﴿ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً﴾[2] .

---

(١) الفتح ، الآية ٤ .

(٢) الفتح ، الآية ٧ .

﴿وما يعلم جنود ربك الا هو﴾ [1] .

فالبحار جند لله ، تضطرب بأمر الله ، وتسكن بأمر الله ، فإذا جاء أمر الله تعالى ، فلا تذر أحداً من الظالمين ، وإستمع إليه تعالى يحكي لنا قصة فرعون وجنده :

﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض ، بغير الحق ، وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون ، فأخذناه وجنوده ، فنبذناهم في اليمّ ، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ [2] .

﴿فأتبعهم فرعون بجنوده ، فغشيهم من اليمّ ما غشيهم﴾ [3]

ولله جند من امطار السماء وينابيع الأرض ، فإذا أذن الله لها أمطرت ، وتفجرت ، وتموجت الأرض بها ، وأغرقت من كان فيها من الظالمين . فاستمع إليه تعالى في قصة نوح :

﴿كذبت قبلهم قوم نوح ، فكذّبوا عبدنا ، وقالوا

---

(١) المدثر ، الآية ٣١ .

(٢) القصص ، الآيات ـ ٣٩ ، ٤٠ .

(٣) طه الآية ٧٨ .

مجنون وازدُجرْ . فدعا ربه: أني مغلوب فانتصر ، ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ، وفجَّرنا الأرض عيوناً ، فالتقى الماء على أمرٍ قد قُدِر . . ولقد تركناها آية فهل من مدّكر ﴾[1] .

ولله جنود من الريح ، لا تبقي ولا تذر ، إذا أذن لها الله تعالى :

﴿ كذبت عادُ ، فكيف كان عذابي ونُذُر . إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر ، تنزع الناس ، كأنهم اعجاز نخل منقعر ، فكيف كان عذابي ونذر ﴾[2] .

وإن من جند الله الصيحة ، وما أدراك ما الصيحة ، أرسلها الله على ثمود فجعلهم كهشيم المحتَظر .

﴿ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة ، فكانوا كهشيم المحتظر ﴾[3] .

---

(١) القمر ، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٥

(٢) القمر ، ١٨ ، ٢١ .

(٣) القمر ، الآية ٣١ .

وارسلها الله تعالى على قوم شعيب ، بعد أن أنجى شعيباً والذين آمنوا معه .

﴿ وأخذت الذين ظلموا الصيحة ، فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، كأن لم يغنوا فيها ، ألا بعداً لمدين ، كما بَعِدَتْ ثمود ﴾[1] .

ولله جنود من الحجارة ، تمطرها السماء ، إذا أذن الله تعالى لها . هلك بها قوم لوط :

﴿ فلما جاء امرنا ، جعلنا عاليها سافلها ، وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضودٍ ، مُسوَّمةً عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد ﴾[2] .

ولله تعالى جنود من الطير ، يرسلها على الظالمين متى شاء :

﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول ﴾[3] .

---

(١) هود ، الآية ٩٤ ، ٩٥ .

(٢) هود ، الآية ٨٢ ، ٨٣ .

(٣) سورة الفيل .

ولله تعالى جنود من القمل، والضفادع، والجراد، والطوفان، يرسلها متى يشاء على الظالمين:

﴿فأرسلنا عليهم الطوفان، والجراد والقمّل، والضفادع﴾[1].

ولله جند من الصاعقة يرسلها متى شاء. وقد أرسلها على ثمود:

﴿فعتوا عن أمر ربهم، فأخذتهم الصاعقة، وهم ينظرون﴾[2].

ولله جنود من الملائكة، لا نراها، تدخل مع الفئة القليلة في المعركة وتدافع عنها، وتحفظها بأمر الله. كما أمر الله الملائكة في معركة بدر أن ينزلوا ساحة القتال الى جانب المسلمين:

﴿إذ يوحي ربُّك الى الملائكة أني معكم، فثبّتوا الذين آمنوا، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب، فأضربوا فوق الأعناق، واضربوا منهم كل بنان﴾[3].

---

(١) الأعراف، الآية ١٣٣.

(٢) الذاريات، الآية ٤٤.

(٣) الأنفال، الآية ١٣.

وما أروع هذا الإمداد الإلهي في المعركة . يرسل الملائكة مع المؤمنين ، ثم ينبؤهم أنه معهم ، فتتلاحم هذه المعية المزدوجة في مشهد إيماني رائع ، في ساحة القتال ، معية الملائكة للمؤمنين ، ومعية الله تعالى للملائكة .

وكيف تتكافأ أطراف هذه المعركة ، والله والملائكة ، وجند الله من الأرض والسماء مع الفئة القليلة ، وليس مع الفئة الكثيرة إلا نفر ضعاف ، وحفنة من مال وحفنة من الأسلحة .

وهذه هي القوة التي يحسب الناس لها كل حساب في المعادلات السياسية .

وهل يتصور الناس قوة أعظم من هذه القوة ، وجنداً أقوى من جند الله ، وسلطاناً أقوى من سلطان الله .

ومع ذلك فإننا نسقط في كثير من الأحيان حساب هذه القوة الكبرى في الكون من المعادلات السياسية ، عندما نفكر في السياسة ، ونحلل الأحداث ، ونتنبأ بالمستقبل ، ونحسب لمستقبل الدعوة حسابها .

* * *

العنصر الثاني :

المال فمهما تكن الفئة الكثيرة غنيّة ، تملك ناصية الذهب والفضة ، فإن القليلة تتمتع بتأييد الله تعالى :

﴿ ولله خزائن السماوات والأرض ، ولكنَّ المنافقين لا يفقهون ﴾[1] .

ولقد كان المنافقون يتصورون أنهم لو حاربوا الدعاة في أرزاقهم ، وقطعوا عنهم المال تنضب الدعوة في نفوسهم ، وتنقطع علاقتهم بالدعوة ، وذلك في اطار تصوراتهم المادية الغبية الضحلة .

﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضّوا ﴾[2] .

فيرد الله تعالى عليهم :

﴿ ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون ﴾

* * *

(١) المنافقون ، الآية ٧ .

(٢) المنافقون ، الآية ٧ .

العنصر الثالث التسديد والتعليم والهداية :

ثم ماذا تحتاج الفئة القليلة بعد القوة والمال ؟ إنها تحتاج الى التسديد والتعليم والهداية ، لتعلم ماذا تعمل ؟ وكيف تتحرك ؟ وكيف تدعو الناس الى الله تعالى ؟ ومتى تختفي ؟ ومتى تظهر ؟ ومتى تتكلم بهمس ؟ ومتى تصرخ بالحق جهاراً ؟ ومتى تتجنب الموجة ؟ ومتى تتصدى للموجة ؟ ومتى تواجه الطغاة بعنف وقوة ؟ ومتى تكلمهم برفق ولين ؟ ومتى تتحمل الظلم وتصبر ؟ ومتى تتصدى وتقاتل ؟ وكيف تتعامل مع الناس ؟ وكيف تجتذب الفارين من الله تعالى الى الله ؟ وكيف تداري الناس ؟ وكيف تدعو الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ؟ وكيف تتصرف تجاه الأحداث ؟ وفي ظلال الطغيان تصمد وتصبر أم تهاجر وتفر بدينها ؟ ومتى تنزوي داخل البيوت ؟ ومتى تخرج الى الشارع ؟ ومتى تعلن الحرب وتفجر الشارع ؟ وكيف تنظم الناس ؟ وكيف تستقطبهم الى جانبها ؟ وكيف تكسب الرأي العام لصالحها ؟ ومتى تظهر للناس مظلومةً مضطهدةً ؟ ومتى تظهر قويةً عزيزةً ؟ وكيف تقاتل ؟ وكيف تعدّ للقتال ؟ وكيف تخطط للمواجهة والحرب ؟ وكيف تلقي الرعب في قلوب الأعداء ؟ وكيف تمكر بهم ؟ وكيف

تستأصلهم ؟ . . الى اخر هذه التساؤلات .

ولا شك أن هذا كله علم قائم بالذات ، علم الدعوة ، ونور يلقيه الله في نفوس الدعاة اليه ، يمشون به في الناس ، ويتعاملون به مع الناس ، ولا شك أن على الدعاة الى الله تعالى أن يكتسبوا هذا العلم ، ويتزودوا بتجارب من قبلهم ، ولا شك أنهم في حركتهم الكبرى في التاريخ يصيبون الهدف حيناً ، ويخطأون آخر ، وأن أعداء الاسلام في المقابل يفرّغون لهذه المهمة في حركتهم المعادية لله ولرسوله ، اجهزةً واشخاصاً ودراسات واسعة .

ولا بد للقلة المؤمنة أن تتفرغ لهذا الجانب وتعطيه اهتمامها ، كما لا بد لها أن تولي جانب القوة والمال أيضاً اهتمامها ، ولا تتركها للصدفة . .

ولكن ، مما لا شك فيه ، مع ذلك كله ، أن الله تعالى لن يترك القلة المؤمنة لجهدها وعملها في هذا الحقل فقط ، ولن تتخلّ عنهم المعية الإلهية في التسديد والتعليم ، كما لم تتخلّ عنهم في ساحات القتال . والقرآن الكريم صرح في ذلك :

﴿ وكفى بربك هادياً ونصيراً ﴾[1] .

---

(١) الفرقان ، الآية ٣١ .

﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين﴾ (١)

وكل ما يحتاجه الداعية في حركته هو ان يشير عليه احد بالرأي الصحيح ويدليه ، ويسدده في الرأي ، ثم يضم يده الى يده ، وقوته الى قوته ، ويعينه على حمل ما لا يطيق من حمله ومسؤولياته وقد ضمن الله له كلاً من هذين الامرين : « الدلالة » و« العون » . فضمن تعالى له الدلالة : لنهدينهم سبلنا والعون :

﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ .

ويرزق الله تعالى الدعاة إليه عز وجل نوراً يمشون به في الناس ، يعرفون كيف يتعاملون مع الناس من أعدائهم وأصدقائهم ، والمتفرجين على الطرفين ، وكيف يتعاملون مع القلوب ، والعواطف ، والعقول في الوقت الذي يسلب تعالى هذا النور من القلوب الكافرة .

﴿أومنْ كان مَيْتاً فأحْيَيْنَاه ، وجعلنا لَهُ نوراً يَمْشي به في الناس ، كَمَنْ مَثَله في الظلمات ، ليس بخارج منها ،

---

(١) العنكبوت ، الآية ٦٩

كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ﴾[1] .

* * *

والعنصر الرابع :

من عناصر النصر التثبيت والثقة بالنصر ، وارتفاع الحالة المعنوية في نفوس الدعاة . وهذه الأمور من خصائص الدعاة المؤمنين بالله . والنفوس المؤمنة هي وحدها التي يمنحها الله تعالى الثقة ، والطمأنينة ، والسكينة ، والإستقرار ، والثبات .

﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ، ليزدادوا إيماناً ﴾[2] .

﴿ فعلم ما في قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم ، وأثابهم فتحاً قريباً ﴾[3] .

﴿ ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ﴾[4] .

---

(١) الأنعام ، الآية ، ١٢٢ .
(٢) الفتح ، الآية ٤ .
(٣) الفتح ، الآية ١٨ .
(٤) التوبة ، الآية ٢٦ .

﴿وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام﴾ (١) .

فما أروع القلوب المؤمنة في ساعات المحنة ، وفي ساحات القتال ، وداخل زنزانات السجون ، وتحت سياط الجلادين . . . ثابتة مطمئنةً ، مرتبطةً بالله ، ساكنةً ، مستقرةً ، كأنها قدت من زبر الحديد ، وما قيمة الحديد تجاه صلابتهم واستقرار قلوبهم .

ومن أوضح الحقائق وابسطها أنّ اصحاب هذه القلوب لا يتخطاهم النصر ، مهما طالت محنتهم وتعاظمت .

وفي قبال هذه القلوب قلوب المنافقين والكافرين والطغاة ، فإنها في قمة سطوتها ، واستكبارها ، وتطاولها على الله ورسوله . . . ضعيفة ، مهزوزة ، مرعوبة ، يساورها القلق ، ولا يفارقها الخوف والإضطراب .

﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله﴾ (٢) .

﴿وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله

---

(١) الانفال ، الآية ١١ .

(٢) آل عمران ، الآية ١٥١ .

وهذه هي السكينة التي تمنح الإنسان إستقراراً في النفس ، وسكوناً لها من القلق والإضطراب ، في أحرج ساعات المحنة .

وبالإضافة الى ذلك فإن الله تعالى يمنح المؤمنين الدعاة ثباتاً على أرض المعركة ، وثباتاً في الموقف ، وثباتاً في الإيمان ، وثباتاً في القول ، وثباتاً في الدنيا ، وثباتاً في الآخرة .

﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾[1] .

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾[2] .

وليس هذا فحسب ، وإنما يربط القلوب أيضاً . فإن القلوب تضعف في ساعة المحنة ، ويتسرب إليها الضعف ، إذا قست المحنة وطالت ، فيتساقط فيها أكثر الناس قوة واستقامة ، الا المؤمنين ، فإن الله تعالى يربط على قلوبهم .

---

(١) ابراهيم ، الآية ٢٧ .

(٢) محمد ، الآية ٧ .

من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين . فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾[1] .

ولقد حسب هؤلاء اليهود كل حساب ، وحصنوا حصونهم وفق هذه الحسابات ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، من داخل قلوبهم ، فأدخلها الرعب ، وهزمهم من حيث لم يكونوا يحتسبون

ويصف القرآن الكريم حال هؤلاء المهزومين من المنافقين وصفاً رائعاً في حالتي الخوف والأمن :

﴿أشحة عليكم ، فإذا جاء الخوف ، رأيتهم ينظرون إليك ، تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت ﴾[2] .

تلك الحالة النفسية لكل من المعسكرين ، معسكر الدعاة الى الله ، ومعسكر أعداء الله ورسوله .

* * *

وليس ينبغي أن يخطر على بال أحد أن الأمر قد إختلف في عصرنا ، عما كان عليه من العصور السابقة ،

---

(١) الحشر ، الآية ٢ .

(٢) الأحزاب ، الآية ١٩ .

فإن الصراع بين موسى عليه السلام وفرعون ، وبين نوح وقومه ، وإبراهيم وقومه ، ورسول الله (ص) وقريش واليهود . . . كان محفوفاً بالنصر للمؤمنين وقد صدق الله وعده ، حيث كانت الوسائل في الحرب والسلم متكافئة .

أما اليوم ، وقد تسلح الطغاة بآخر ما إستحدثه الإنسان من الأسلحة المدمرة والفتاكة ، وإنتزعوا كل شيء من أيدي المؤمنين ، وفرضوا سلطانهم وقوتهم على كل جوانب الحياة ، واستوعبوا كل مداخل حياة الناس ، ومساربها ، ومخارجها ، وسلبوا عنهم كل قوة وصلاحية . . . فلم يبق مجال للتحرك ، ولم يبق أمل في النصر .

وكيف ترى تتحول هذه القوة العملاقة الى ايدي المؤمنين الدعاة الى الله ! وكيف يتخلص المؤمنون من أخطبوط أجهزة الأمن والإستخبارات التي تضيق عليهم الخناق وتكاد أن تحصي عليهم أنفاسهم ؟

إن أقصى قوة فرعون كانت في أن يطلب من السحرة أن يتحدّوا بسحرهم موسى عليه السلام ، وأن يصنع له هامان برجاً ليصعد عليه ويرى اله موسى ، وإن أقصى قوة نمرود كانت في أن يصنع ناراً ليحرق فيها إبراهيم عليه

السلام ، وإن اقصى قوة أبي جهل كانت في حفنة من الأوباش يحيطون به ، ويأتمرون بأمره .

وأما طغاة عصرنا فهم يحصون على الناس أنفاسهم ، ويملكون من الأسلحة الفتاكة ما لا تُبقي ولا تذر ، ومن الأنظمة العسكرية والأمنية والحزبية المعقدة ، ما لم يكن يخطر على بال الدعاة في العصور الأولى .

وجوابي على هذه الشبهة ، وهي مع الأسف شبهة عميقة في النفوس ، وإن كانت تبدو ضحلة وبسيطه . . . جوابي عليها شاهد من عصرنا ودليل من كتاب الله .

أما الشاهد من عصرنا فهو تحول القوة من طاغية ايران ونظامه البرهيب ، الذي كان يضرب به المثل ، الى أيدي الدعاة ، وإنهيار الحصون والقلاع الأمنية ، والعسكرية ، والإقتصادية ، والإستعمارية التي كانت تحميه في أقل من سنة .

وأما الدليل من كتاب الله ، وهو الأصل والأساس :

﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ، ليخرجوك منها ، وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلاً . سنة من قد

أرسلنا قبلك من رسلنا ، ولا تجد لسنتنا تحويلاً ﴾[1] .

﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾[2] .

﴿ ولن تجد لسنّة الله تحويلاً ﴾[3] .

فلن تتبدل سنة الله تعالى في نصر عباده المؤمنين ، وهزيمة الطغاة الجبارين ، ولن تتغير هذه السنّة ، ولن تتحول ، ولن يؤثر عليها مرور الزمن . . . إنها سنّة الله ، ثابتة ، مستقرة ، وليست صدفة ، أو خاصة من خصائص الزمان ، تحدث مرّة أو مرتين ، ثم تنقطع .

إنها سنّة ، كما أن إختلاف الفصول في السنة سُنَّة ، وكما أن شروق الشمس وغروبها سنّة ، وكما أن نزول الأمطار على الأرض سنة ، وكما أن إختلاف ألسنَة الناس سُنَّة .

إن سنن الله لن تتغير ، ولن تتبدل ، وهي جزء من حقائق هذا الكون الكبير ، أودعها الله تعالى فيه إيداعاً ثابتاً .

* * *

---

(١) الإسراء ، الآية ٧٦ ، ٧٧ .
(٢) الأحزاب ، الآية ٦٢ .
(٣) فاطر ، الآية ، ٤٣ .

تلك هي حقيقة النصر الإلهي للقلّة المؤمنة على وجه الأرض ، وكما ترون أن المماراة في هذه الحقيقة والتشكيك فيها ، مع الإلتفات ، مماراة في كتاب الله ، وتشكيك في التوحيد .

فقد توخيت في هذا الحديث أن لا أتجاوز حدود كتاب الله الذي يتفق عليه المسلمون جميعاً ، ولا يشك فيه إلا مشكوك في إيمانه . وقد رأينا أن القرآن الكريم يعد القلّة بالنصر ، وعداً مؤكداً من الله ، والله تعالى لا يخلف وعده ، ومن أصدق من الله قيلا .

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم ، وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض ، كما إستخلف الذين من قبلهم ، وليمكّنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلّنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾[1] .

ذلك وعد من الله ، ثابت ، مذكور في كتاب الله :

﴿وعد الله حقاً ومن أصدق من الله قيلا﴾[2] .

---

(١) النور ، الآية ٥٥ .

(٢) النساء ، الآية ١٢٢ .

﴿فاصبر إن وعد الله حق ، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾[1] .

وبذلك فإن الإيمان بالنصر من التصديق بوعد الله ، والتصديق بوعد الله من الايمان بالله .

وهكذا نرى ببساطة : أن الايمان بالنصر وتدخل المشيئة الإلهية لتحويل مجرى الأحداث السياسية والعسكرية والإقتصادية لصالح الفئة القليلة من المؤمنين . . . جزء جوهري من عقيدتنا ، وأساس من أسس ايماننا بالله تعالى .

ولا نستطيع نحن بحال من الأحوال أن نفصل بين عقيدتنا والسياسة .

إن فصل العقيدة والايمان بالله عن السياسة ، وتياراتها الجارفة ، ومعادلاتها المعقدة جاءت في فترة غفلة من هذه الأمة ، ومع كل الأسف أن الناس إستسلموا له سلوكياً ونظرياً أيضاً ، وهو موضع المأساة والجرح . وكما سبق أن ذكرت : ان الجرح الذي تركه فصل الدين عن السياسة في

---

(١) الروم ، الآية ٦٠ .

جسم الأمة لم يكن بعمق وخطر الجرح الذي تركه فصل العقيدة عن السياسة في حياة أمتنا .

وذلك أن الفصل الثاني يمتد بطبيعته الى عمق النظرية والمفهوم والذهنية الإسلامية ، بينما إقتصر عمق المأساة الأولىٰ على حال المسلمين في ممارساتهم الإجتماعية والسياسية ، بفعل الظروف السياسية القاهرة ، وسلمت لهم مع ذلك عقيدتهم وذهنيّتهم ، في نطاق الطبقة الواعية من هذه الأمة .

* * *

فما هي شروط النصر :

إن وعد الله تعالى بالنصر قاطع لا يتردد فيه مؤمن ، مهما قست الظروف ، وإمتدت المحنة ، ولكن الوعد الرباني يتحقق عند توفر الشروط التي يطلبها الله تعالى منا .

فنحن نلتقي أولاً بقوله تعالى :

﴿ ونُريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ، ونجعلهم أئمة ، ونجعلهم الوارثين ، ونمكّن لهم في

الأرض ، ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾[1] .

فهي مشيئة إلهية قاطعة ، ويا لها من مشيئة مباركة . منٌّ على المستضعفين من الرجال والنساء والأولاد ، وتحويلٌ القوة والسلطان الى هؤلاء المستضعفين من أيدي الجبابرة والطغاة ، وتمكين لهم في الأرض ، ثم الشماتة بالطغاة والجبابرة الذين كانوا يتحكمون من قبل في دماء المسلمين وأعراضهم ويستكبرون في الأرض .

انه الإنقلاب الحقيقي في ميزان القوى ، وفي أمر الامامة والقيادة في الأرض انه اراده الله : (ونريد)

ولكن إرادة الله تعالى لها شروطها . ومن لطائف التعبير والسياق في القرآن الكريم فصل القضايا عن شروطها أحياناً ليبعث في نفوس المسلمين الامل ، وفي آية أخرى من كتاب الله نقرأ الوعد الالهي بالتفصيل ونقرأ شروطه بالإجمال :

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم ، وعملوا الصالحات ليستخلفّنهم في الأرض ، كما إستخلف الذين من قبلهم ،

---

(١) القصص ، الآية ٥ ، ٦ .

وليمكننَّ لهم دينهم الذي إرتضى لهم ، وليبدّلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني ، لا يشركون بي شيئاً ﴾[1] .

وهذه الآية الكريمة تجمل الشروط في الإيمان والعمل الصالح :

ولا شك أن الإيمان هو الشرط الأول ، وهو الأساس والقاعدة لكل جوانب الشخصية المؤمنة الداعية ، وهو المنطلق لأفكاره ومفاهيمه وقيمه وسلوكه .

والنصر لا يشذ عن هذه القاعدة . فإن الإيمان بالله تعالى يمنح الإنسان المؤمن الثقة ، والقوة ، والتوازن ، والطمأنينة ، والسكينة ، وهي أهم القضايا في تحقيق النصر ، ولا يتحقق شيء من ذلك من دون الإيمان بالله

يقول تعالى ، فيما يثبت به فؤاد الفئة القليلة المؤمنة ، بعد نكسة أُحد :

﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا ، وأنتم الأعلون ، إن كنتم مؤمنين ﴾[2]

---

(١) النور ، الآية ٥٥ .

(٢) آل عمران ، الآية ١٣٩ .

والإستعلاء الحقيقي يتحقق عندما تكون الأمة مؤمنة ، وما عدا ذلك بطر ، ورئاء ، وغرور ، وباطل .

ويخاطب عزّ وجلّ المشركين من قريش ، بقوله :

﴿ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ، ولو كثرت ، وأنَّ الله مع المؤمنين﴾[1] .

* * *

والشرط الثاني العمل :

وهو شرط متشعب كثير الأطراف ومن أهم صفاته التقوى ، وهو إلتزام حدود الله تعالى . وقد يستغرب بعض الناس الذين لم يألفوا الفكر الإسلامي ، ولم يأنسوا بالقرآن الكريم أن يكون التقوى وإلتزام حدود الله تعالى في الحلال والحرام شرط من أهم شروط النصر . ويتساءل وما صلة الذنوب والمعاصي ، سيما لو كانت خارج حقل العمل والدعوة بالنصر ؟

إن الذهنية الأوروبية تقف مستفهمة عن علاقة التقوى بالنصر ، ولا تفهم أن تكون هناك صلة بين هذا

---

(١) الأنفال ، الآية١٩ .

وذاك ولكن الذهنية الإسلامية التي بلورها القرآن الكريم لا يستطيع أن يفصل بين أطراف الشخصية ، ولا يستطيع أن يفصل بين علاقة الانسان بربه وعلاقته بالناس وعلاقته بالأشخاص وعلاقته بساحة القتال . . . إنها في النظرية الإسلامية كل مرتبط ، فإذا تفكك بعضه تهدم سائره ، والقرآن الكريم صريح وواضح في ذلك :

﴿واتقوا الله ، واعلموا أن الله مع المتقين﴾[1] .

فمعية الله للمؤمنين مشروطة بالتقوى :

﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾[2] .

﴿واعلموا إن الله مع المتقين﴾[3] .

﴿فاصبروا إن العاقبة للمتقين﴾[4] .

﴿والله ولي المتقين﴾[5] .

---

(١) البقرة ، الآية ١٩٤ .
(٢) الأعراف ، الآية ١٢٨ .
(٣) التوبة ، الآية ٣٦ .
(٤) هود ، الآية ٤٩ .
(٥) الجاثية ، الآية ١٩

فالشرط الذي يجب أن يتصف به الداعية الى الله تعالى بعد الإيمان : التقوى ، وأي تهاون في ذلك أو تسامح في حدود الله وحلاله وحرامه يسلب عنه صفة الداعية المؤمن ، ويخرجه من حظيرة الدعاة الى الله تعالى .

إن التقوى اخواني (دار حصن عزيز ، والفسوق دار حصن ذليل) ، فالتقوى تحمي صاحبه في حصن منيع من الشيطان ووساوسه ، ومن أهواء نفسه وشهواته ، وهي الخطوة الأولى من النصر فإن ميدان الداعية الأول نفسه ، فإذا أنجز مهمته في هذا الميدان ، واطمأن من نفسه ، وجاهد نفسه تقع عليه مسؤولية الدائرة الصغيرة من الجهاد .

ومن عجب أن تكون ساحة الحياة والصراع القائم بين الكفر والايمان هي الدائرة الصغيرة لجهاد المؤمن ، وساحة النفس ، والصراع القائم فيها بين التقوى والفجور ، هي الدائرة الكبرى لجهاد المؤمن .

* * *

وصفة أخرى للعمل ، **الإخلاص** :

فإنما يعمل الداعية لله ، ويقاتل لله ، ويتحمل ما

يلاقيه في طريقه من العنت والعذاب لله . . . وهذا الشرط روح عمل الداعية ، وجوهر قيمة عمله . فإذا أدخل الشيطان في نفسه حب الدنيا والنزوع الى شأن من شؤون الدنيا ، وأفقده الإخلاص في عمله ، فقد تمكن الشيطان من مصادرة عمله كله .

والله تعالى حيث يعد عباده الصالحين بالمعية الالهية والهداية يشترط أن يكون الجهاد من أجله تعالى وفي سبيل مرضاته عز وجلّ .

﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾[1] .

ويحذرنا تعالىٰ أن نكون نحن كالذين يخرجون من ديارهم بطراً ، ورئاء الناس ، إبتغاء متاع من متاع الحياة الدنيا من سلطان ، ومال ، وشأن غيره .

﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم ، بطراً ، ورئاء الناس ، ويصدون عن سبيل الله ، والله بما يعملون محيط﴾[2]

* * *

---

(١) العنكبوت ، الآية ٦٩ .

(٢) الأنفال ، الآية ٤٧ .

الصفة الثالثة والرابعة الصبر والصلاة :

﴿ إستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ﴾[1] .

وهما من أهم شرائط العمل . فإن العمل في سبيل الله تعامل مزدوج في آن واحد مع الله ومع الناس .

وتعامل الداعية مع الله صلاة ، ومع الناس صبر .

ولا بد له من أن يذكر الله تعالى ويكون على ذكر دائم ، وصلة دائمة بربه عز وجلّ ، وأن يفزع الى الله بالدعاء فيما تعتري طريقه من عقبات ، ومشاكل ، وعوائق ، تعوق تقدم الدعوة الى الله ، وفيما يوسوس الشيطان في نفسه . وهذا اللجوء الى الله (: الصلاة) يمنح المؤمن قوة ، وثقة ، ويمدّه بإمداد متصل من ربه عز وجلّ ، في طريقه الشائك .

واستمع معي الى طرف من أدعية الدعاة الى الله من الأنبياء وعباد الله الصالحين ، فيما كان يُلمُّ بهم من متاعب وصعوبات في طريق ذات الشوكة :

---

(١) البقرة ، الآية ١٥٣ .

﴿ربنا إفتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾[1] .

وبإزاء تهديد فرعون يتضرع السحرة الى ربهم بعد ان آمنوا :

﴿ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفّنا مسلمين﴾[2] .

ويفزع قوم موسى الى ربهم في محنتهم بفرعون :

﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ، ونجّنا برحمتك من القوم الكافرين﴾[3] .

﴿ربنا أتمم لنا نورنا، واغفر لنا ، انك على كل شيء قدير﴾[4] .

وهذا هو الطرف الأول : (الصلاة) . والطرف الآخر التعامل مع الناس : (الصبر) . إن الصبر تعامل مع الناس ، ومع حقائق هذا الكون ، وسنن الله تعالى في هذه الأرض .

---

(١) الاعراف ، الآية ٨٩ .

(٢) الأعراف ، الآية ١٢٦ .

(٣) يونس ، الآيات ٨٥ ، ٨٦ .

(٤) التحريم ، الآية ، ٨ .

فإن لله سنن في أرضه ، وفي حياة الناس ، وفي مسير التاريخ ، وما لم يعرف الداعية هذه السنن ، ولا يعرف مداخلها ومخارجها ، وكيف يتعامل معها ، فإنه يفشل في أداء مهمته .

إن الفرد ، والمجتمع ، والعقول ، والعواطف ، والإقتصاد ، والسياسة ، والحكم ، والرأي العام ، والحركة ، والثورة ، والمال ، والإدارة ، والتاريخ . . . وكل ما يتصل بعالم الإنسان يخضع لسنن إلهية ثابتة ، كما تخضع الأشياء للسنن والقوانين الإلهية ، وكما تخضع الجاذبية ، والكهرباء ، والبخار ، وطبقات الأرض ، وتكَون الجبال ، والبحار ، والجزر ، والمد ، ونبات الأرض ، لنواميس وقوانين إلهية ثابتة ، كذلك عالم الإنسان بكل تعقيداته .

وما لم يعرف الداعية سنن الله تعالى في حياة الإنسان ، والتاريخ ، والفرد ، والمجتمع لا يستطيع أن يؤدي مهمته الأداء الحسن المناسب ، فإذا عرف هذه السنن ، وأحسن معرفتها بما آتاه الله من نور ، وبما يكتسب من تجربة وخبرة في حياته العملية وخبرات وتجارب العاملين والمجاهدين من قبله . . فلا بد أن يصبر

على هذه السنن ، ويعترف بها ، ويعطي للزمان حقه ولمراحل العمل حقها الثابت .

فإن الفشل أقرب شيء الى الداعية ، لو لم يحاول أن يعرف سنن الله في حياة الإنسان ، أو حاول أن يعاكس التيار ، ويخترق السنن ، ويتجاوز مراحل العمل ، ويتناسى دور الزمن ، ويتجاهل أنه يتعامل مع انسان آخر له إرادته ، ورغبته ، وشخصيته ، وتتحكم في تكوينه وشخصيته سنن إلهية ثابتة . . . تماماً كما يفشل الفلاح ، لو أنه لم يعرف متى يزرع ، وأين يزرع ، ومتى يحصد . فإذا تغافل عن سنن الله في وقت الزرع أو وقت الحصاد أو مكان الزرع ، فإنه لا يجني من عمله غير الخسران .

وفي رأيي أن الدعاة الى الله تعالى لا بد أن يلموا المامة كافية كاملة بتاريخ الدعاة الى الله تعالى ، وممارساتهم ، في حياتهم ، ومع الناس ، منذ نبي الله نوح عليه السلام الى عصرنا ، وبصورة خاصة لا بد أن يلمّوا إلمامة كافية بسيرة رسول الله (ص) ، ليعرفوا سنن العمل قبل كل شيء . ولا بد أن يعيشوا مع الناس ، ويتعاملوا مع الناس ، ويقرأوا ويسمعوا ، ويعملوا في صفوف الناس ، ليعرفوا عن كثب سنن الله تعالى في حياة الإنسان . . .

ثم لا بد أن يتزودوا بعد ذلك ، بالصبر في التعامل مع الناس ، والصبر في مواجهة الظالمين ، والصبر في توعية المسلمين ، والصبر في تحريكهم ، وإعداد العدّة المادية والمعنوية لكل ذلك ، وتحمُّل متاعب الطريق ، وإعطاء الزمن دوره ، والإعتراف بالزمن كعامل أساسي ـ في سنن الحياة ـ لنجاح العمل وتقدمه ، والصبر على أخلاق الناس وكلامهم ، والصبر على طول الطريق وبعد الشُّقة ، والصبر على الأسلوب ، والصبر على المرحلة ، والصبر على تحديات الظالمين ، والثبات ، والإعداد ، والإستقامة ، والإستمرار ، والنفس الطويل الواثق في العمل .

وطبيعي أن هذه المراحل الشاقة من العمل والصبر ، لا يمكن أن يجتازها الداعية وحده . فالطريق أبعد من أن يقطعها الداعية الى الله وحده ، والحمل أثقل من أن يحمله الداعية وحده ، فلا بد من أن يكون مع الله ، ليكون الله معه ، وليخفف عنه ثقل العمل ، ويقرِّب له الطريق الطويل . . .

ولا بد له إذنٌ من الصلاة ، ولا بد من أن يفزع الى الله ، ليكون معه في الطريق الشائك ، ولا بد أن يقترن الصبر بالصلاة ، ليصل الغاية في مسيره ، بمعية الله تعالى .

﴿واستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾[1] .

فإذا إستقام الدعاة الى الله تعالى ، وصبروا ، فإن النصر لن يتخطاهم ، ورحمة الله تعالى لن تعدوه .

﴿إنّ الذين قالوا ربنا الله ، ثم إستقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة : ألاّ تخافوا ولا تحزنوا﴾[2] .

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا ، فلا خوف عليهم﴾[3] .

واقرأ معي كيف يؤدب الله تعالى نبيه ويعلمه ألا يستعجل في طريق الدعوة ، ويتعلم الصبر ممن سبقه من أولي العزم من الأنبياء :

﴿فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾[4] .

ومن قوم موسى المستضعفين جعل الله تعالى أئمة

---

(١) البقرة ، الآية ١٥٣ .
(٢) فصلت ، الآية ٣٠ .
(٣) الاحقاف ، الآية ١٣ .
(٤) الاحقاف ، الآية ٣٥ .

وقادة أورثهم سلطان فرعون بما صبروا :

﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ﴾[1] .

ويأمر الله تعالى رسوله (ص) أن يتّبع ما يوحى إليه ، ويصبر مع قومه ، وينتظر حكم الله :

﴿ واتبع ما يوحى إليك ، واصبر ، حتى يحكم الله ﴾[2] .

وأحوج ما يكون الداعية الى الصبر عندما تطول المحنة ، وتقسو ، فيستخفه الذين لا يوقنون بالله :

﴿ فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ﴾[3] .

* * *

وحبذا لو توقفنا لحظات عند هذه النقطة من البحث ، فهي من أهم النقاط التي يعاني منها المؤمنون الدعاة ، على إختلاف شعوبهم ، وأوساطهم ، في هذه الفترة القاسية ،

---

(١) السجدة ، الآية ٢٤ .

(٢) يونس ، الآية ، ١٠٩ .

(٣) الروم ، الآية ٦٠ .

من تاريخهم ، ويحتاج فيها المؤمنون الى وعي إعتقادي لطبيعة المرحلة القاسية التي يمرون فيها . ونشير بهذا الصدد الى نقطتين مهمتين :

١ ـ إن فترة الإبتلاء قد تطول على المؤمنين ، وقد تكون قصيرة ، وطول الفترة وقصرها يخضع لمستوى الإيمان والعمل الذي تقدمه الأمة المؤمنة ، ولقوانين إلهية أخرى لا نعرفها ، وقد تقسو المحنة والفتنة بالمؤمنين ، وعادة تعتبر هذه القسوة مخاضاً للنصر ، تنتبه خلالها الأمة ، القطاعات الواسعة من الأمة ، وتستقطب فيها الطلائع المؤمنة المجاهدة عطف الأمة وثقتها خلال هذه المحنة . والأمة تمنح عطفها وثقتها للعاملين في حالة المحنة ، أكثر مما تعطيها في حالة اليسر والرخاء .

ومخاض النصر (المحنة) قد يكون قاسياً على المؤمنين ، ليس عليهم فحسب ، وإنما على ذويهم أيضاً ، من آبائهم ، وأمهاتهم ، وزوجاتهم ، وأبنائهم ، وأقاربهم الآخرين .

وقبل ان نسترسل في إكمال الموضوع أود أن ألفت نظر المؤمنين الى ضرورة وأهمية الإعداد الداخلي لأسرهم وعوائلهم ، فإن المحنة لا تكاد تصيبهم وحدهم ، وانما

تصيب عوائلهم واسرهم ايضا ، فان كانوا لم يعدوا من قبل أفراد اسرتهم لمثل هذه الفترات القاسية فإن خطر التساقط والإنهيار في داخل أفراد العائلة المؤمنة ليس ببعيد ، وطبعاً لا نريد أن نغفل عنصر الإمداد الإلهي الغيبي للعوائل والأسر الممتحنة ، في معنوياتها ، وحياتها المادية ، ولكن ذلك لا يعني أن الداعية لا يعد أفراد أسرته لمثل هذه الحالات القاسية التي تمر عليهم من قبل ، ليحميهم من التساقط والإنهيار ، فإن الفتنة سيف ذو حدين ، وسلم يصعد منه ناس الى الله ، ويهبط منه آخرون الى الشيطان .

فلكي تكون هذه المحنة في حياة العاملين وأسرهم سلَماً صاعداً لا بد أن يتفرغوا لإعداد عوائلهم وأسرهم ، إعداداً داخلياً ، قوياً ، من قبل .

ونقطع الحديث عن هذه النقطة ونعود مرة أخرى الى صلب الموضوع فأقول : إن فترة المحنة قد تطول وتقسو ، ولكن لا ينبغي أن تتناول المحنة إيمان العاملين في سبيل الله بالنصر والتأييد الإلهي في حال من الأحوال ، فإن النصر الإلهي حقيقة إيمانية في نفس الداعية ، وحقيقة كونية في مشيئة الله تعالى ، لن تتبدّل ، ولن تتغير .

وقد يعيش العاملون في سبيل الله في ذروة محنة من هذه المحن القاسية التي مرت على الأنبياء ، والمرسلين ، وعباد الله الصالحين ، وجرت بعد ذلك سنّة ثابتة لله ، فيكاد الشيطان أن يمس إيمانه بالنصر ، ويزلزل من ثباته وثقته بالله وهو لا يعلم أن النصر قريب وشيك منه ، وقد يكون في اللحظات الأخيرة من مخاضه العظيم .

﴿مستهم البأساء والضّراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ ألا إنّ نصر الله قريب﴾[1] .

ويحدثنا القرآن الكريم عن السُنة الإلهية في حياة العاملين في توقيت النصر ، وضخامة الفتنة والمحنة ، قبل النصر ، وفي حال مخاضه ، فيقول :

﴿حتى إذا استيأس الرسل ، وظنوا أنهم قد كُذِّبوا جاءهم نصرنا﴾[2] .

قد يكون النصر قريباً من المؤمنين ، ولكن الله تعالى أخفى علمه عنهم لحكمة له تعالى في ذلك ، وقد يكون

---

(١) البقرة ، الآية ٢١٤ .

(٢) يوسف ، الآية ١١٠

النصر حاصل بين عشية وضحاها ، ولكن الله تعالى حجب علمه عن المؤمنين ليمتحنهم في محنتهم . فلا ينبغي إذن أن تنال المحنة من إيمان العاملين وثقتهم بالنصر ، ولا ينبغي أن يتسرب اليأس الى روحهم في حال من الأحوال .

﴿ولا تيأسوا من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾[1] .

٢ ـ إن حالة المخاض ، وهي المحنة ، في حسابات البشرية طريق الى النصر ، وفي حساب الله تعالى غاية قائمة بذاتها ، بل هي غاية الغايات ، في تكامل المؤمنين العاملين .

إن هذه المحن قد تطول ، وتقسو ، ليعلم الله تعالى ـ وهو العالم ـ الذين جاهدوا من المؤمنين ، والذين صبروا تحت وطأة المحنة .

﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾[2] .

---

(١) يوسف ، الآية ، ٨٧ .

(٢) آل عمران ، الآية ١٧٩ .

فإن الإسلام في حياة الناس فصل وفرقان بين الحق والباطل ، وفصل وتمييز بين الخبيث والطيب ، ولا يفرّق بين الطيب والخبيث ، ولا يميزهما عن بعض امر افضل من هذه المحن التي تتعرض لها الأمة ، فيصعد قوم ، ويهبط قوم آخرون ، ومن هذا الصراع بين الحق والباطل ، وبين جبهة التوحيد والشرك ، فيطيب قوم ، ويخبث آخرون .

إذن فهذه المحن هي السلّم الإلهي لتكامل المسلمين العاملين في سبيل الله ، وطريق الكمال طريق شائك وعسير ، ولا يتكامل المؤمن في الرخاء واليسر ، وانما يتكامل في العسر والفتنة والمحنة .

انه يتكامل تحت السياط والتعذيب وفي ظروف الهجرة القاسية ، اكثر مما يتكامل في اي وقت آخر .

ويئن العاملون تحت وطأة المحنة ، ويستغيثون ، وكل ذلك بعين الله تعالى وسمعه .

ولقد قلت من قبل : لو ان الداعية كان يعلم ان اليد التي تعصر قلبه يد ارحم الراحمين لخفّت عليه المحنة ، وهان عليه ان ينشر بالمناشير ، اذا كان ذلك بعين الله ، وبإرادته ، ورضاه ، وفي سبيل مرضاته ، وطريقه الذي يسلكه الى الله تعالى .

فهذه المحن هي الطريق الى الجنة ، وهي المدارج التي يصعدها الداعية لتزكية نفسه وتطهيرها ، وتكميل نفسه ،

والقرآن الكريم صريح وواضح في هذه الحقيقة ، ايما صراحة ووضوح :

﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ويعلم الصابرين﴾[1] .

﴿أم حسبتم أن تتركوا، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجةً ، والله خبير بما تعملون﴾[2] .

انها لسذاجة في نفوس الناس أن يتصوروا أن الجنة ، بمنازلها الرفيعة ميسرة لكل أحد صام وصلّى ، دون أن يمتحنه الله في إيمانه ، ويعلم المجاهدين منهم والصابرين .

وأنها سُنَّة لله تعالى قديمة ، فلن تشذ هذه الأمة عن الأمم السابقة ، ولن يشذ الدعاة في عصرنا ، فيما يتعرضون له من محن وفتن عن الأنبياء ، والأولياء ، وعباد الله الصالحين ، والمجاهدين من قبل ، فيما مسّهم من البأساء والضراء .

﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مَثَلُ الذين

---

(١) آل عمران ، الآية ١٤٢ .

(٢) التوبة ، الآية ١٦ .

خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء﴾[1] .

ولو أن العاملين كانوا يعلمون بموقعهم من الله ، وما يحيطهم من رحمة الله ، وهم في ظروف المحنة القاسية ، ولو كانوا يعلمون وهم ثابتون ، لا يتزلزل لهم قلب ، تحت وطأة المحنة : إن ملائكة الله تتباهى بهم ، وتهنؤهم ، لخفت المحنة عليهم ، وآثروا أن تقطع أعضاؤهم في سبيل الله وتدوم بهم هذه المحنة حتى يأذن الله .

ولو أنهم كانوا يعلمون أن هذه المحن القاسية التي يمرون بها هي النصر الحقيقي لهم ، وهي تعدهم للغاية التي من أجلها خلقوا ، وتسلك بهم سبيلاً صُعُداً الى الجنة لم تثقل المحنة عليهم .

إن الغاية والنصر الحقيقي في حساب الله هي هذه المحن ، إذا خرج منها المؤمنون العاملون منتصرون ، لم يتزلزلوا ، ولم يضطرب لهم قلب ، وأما النصر في الساحة فهو فرحة فقط . وشتان ما بين حساباتنا وحسابات الله تعالى .

---

(١) البقرة ، الآية ٢١٤ .

واستمعوا معي الى هذه الآية المباركة من كتاب الله :

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ؟ تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم ، وأنفسكم ، ذلكم خير لكم ، إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ، ويدخلكم جنّات تجري من تحتها الأنهار ، ومساكن طيبة في جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين ﴾[1] .

ونقف وقفة قصيرة عند هذه الآية المباركة . . . إن الفوز العظيم هو المغفرة والجنة التي تجري من تحتها الأنهار والمساكن الطيبة في جنات عدن ، والطريق إلى هذا الفوز الإيمان والجهاد بكل متاعبه ومشاقه وببذل الأنفس والأموال . ذلك الخير ، ذلك الفوز ، ذلك النصر .

وأما الفتح فهو الذين نحبه نحن ، ونفرح به ، وهو حاصل بالتأكيد ، وهو قريب ، ويبشرنا بها الله تعالى :

﴿ نصر من الله ، وفتح قريب ، وبشّر المؤمنين ﴾[2] .

---

(١) الصف ، الآيات : ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

(٢) الصف ، الآية ١٣ .

ولا ينبغي أن نشك فيه ، ولا يخلف الله وعده ، ولكن الفوز العظيم غيره . إنه حالة مخاض النصر ، انه الغاية من المخاض ، والنتيجة من النصر .

ولست أريد ان اقول أن ما يكسبه العاملون في فترة المخاض لا تقل عما يكتسبه العاملون في حالة النصر ، بل أن الفوز العظيم في المخاض ، وما النصر الا فرحة ، يحبها المؤمنون ، ويبشرنا بها الله تعالى .

وقد قلت من قبل ، إن المحنة سلَّم صاعد ونازل ، وكما يصعد منه ناس بتوفيق الله ، يهبط منه ناس بإغواء الشيطان ، ولا يفارق تأييد الله تعالى القلة المؤمنة في محنتهم ، ولكنها على كل حال قاسية وصعبة ، وبحاجة الى كثير من الصبر ، والتوأدة ، والثبات ، وذكر الله كثيراً ، فإن ذكر الله يبعث الطمأنينة والسكينة في القلوب .

﴿الذين آمنوا تطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[1] .

كما أن معايشة الأنبياء والمرسلين والدعاة الى الله تعالى من السلف الصالح في حياتهم ومحنتهم ، تبعث الطمأنينة

---

(١) الرعد ، الآية ٢٨.

والثبات في القلوب . ولقد كان الله تعالى ، يثبّت فؤاد نبيه صلّى الله عليه وآله بما يحكى له من قصصهم ومحنهم وثباتهم على القول الحق :

﴿وكلاً نقصُّ عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾[1] .

* * *

وبعد فقد جاء النصر ، والحمد لله ، في رقعة مباركة من رقاع العالم الإسلامي العريض ، وحقق الله وعده ، وله الحمد ملء السماوات والأرضين ، وعدد أنفاس الخلائق ، وله الشكر فوق شكر الشاكرين ، وكما يحب تعالى ويرضى .

جاء النصر في هذه الرقعة الإسلامية بعد مخاض ، قاس ، شديد ، ومحنة قاسية ، ثبت فيها أناس ، ولله الحمد ، وتساقط فيها آخرون ، ونستغفر الله ، وثبت فيها المؤمنون حيناً ، ولله الحمد ، وزلزلوا فيها حيناً ، ونستغفر الله . ولسوف يتوالى النصر ، إن شاء الله ، متلاحقاً ، مباركاً ، متوالياً . . .

---

(١) هود ، الآية ١٢٠ .

فقد إنتهت فترة الظلمة ، أو كادت أن تنتهي ، وانقطع نفس الإستعمار والشيطان والطغاة ، وثبت أن نَفَس المؤمنين في المعركة أقوى وأطول من نَفَس الكافرين ، ذلك أن :

﴿الله ولى الذين آمنوا ، يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ، يخرجونهم من النور الى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [1]

وفي نهاية هذه المرحلة القاسية من المحنة نعود الى الله تعالى لنشكره ، ونعتذر ، شكراً على ما أنعم علينا من الرحمة ، وإعتذاراً مما سبق منا في مرحلة الفتنة من الضعف ، واليأس ، والتقاعس ، والزلل ، وهو الحميد الغفور .

أجل فترة المحنة ، هي أصعب فترات التعامل مع الله ، وأشدها وقعاً على المؤمنين ، وأكثرها أخذاً وعطاءاً في التعامل معه عزّ وجلّ .

وقد سبق من المؤمنين العاملين في هذه الفترة كثير من

---

(١) البقرة ، الآية ٢٥٧ .

الـزلـل ، والضعف ، والخـوف ، وكـادوا أن يجنحـوا الى اليأس ، وكادت قلوبهم ان تميل الى الراحة والعافية ، تحت ضراوة المحنة ، وزلزلوا ، أحياناً ، وتعثروا أحيانـاً أخرى ، وكـادوا أن يستسلمـوا لتشكيـك المشككـين ، وتثبيط المثبطين ، عنـدما طـالت عليهم الفتنـة ، وبعـدت عليهم الشُّقـة . . . ولكن الله تعـالى ثبّتهم ، وطمـأنهم ، وأمـدهم بـالقـوة والإيمـان ، وأراهم آيـاتـه البينـات ، في يقـظتهم ، وأحـلامهم ، ومسكهم من الزلـل ، وأقـالهم من عثـراتهم ، وأعـاد إليهم النـافـر من قلوبهم ، وزجـر عنهم الشيـطان ، وأبقـاهم تحت المحنة مـا تحملوا ، فـإذا نفـذ صبـرهم أعمى عنهم عيون أعدائهم واصّم اذانهم وكمم افواههم .

ولقـد كانـوا ، برحمـة الله ، يرون الله تعـالى شاهـداً ، وسامعاً وهم تحت السياط ، فيخف عليهم وقع التعـذيب ، ويمرون أحيانـاً على مـرأى ومسمع من أعـدائهم فلا يـرونهم برحمة الله .

ولقـد كـانـوا يخـطأون الخـطاة ، ويعثـرون العثـرة ، فيسـددهم الله . ولقـد كـانـوا يتـركـون عـوائلهم فـارين ، مهـاجرين ، أو مقبـوضاً عليهم بـلا مؤن ، ولا حيلة ، ولا رزق ، فيرزقهم الله .

ولقد كانوا يخافون في غياهب السجون ، وفي مآسي الهجرة أن تنحرف عوائلهم . او كانوا يجزعون لفراقهم ، فتعود اليهم عوائلهم أو يعودون اليهم ، فيرون أن الله تعالى قد أسبغ عليهم رحمته وحمايته وتسديده .

ولقد كانوا يهاجرون الى بلاد نائية ، يفقدون فيها الأمن ، والمال ، والأهل ، فيرزقهم الله الأمن ، والمال ، والأهل ، والأصدقاء .

ولقد كانوا يخشون على ايمانهم أن يتزلزل ، ومن أنفسهم أن يتساقطوا تحت وطأة التعذيب ، فيمدهم الله بالايمان على ايمانهم ، وبالنور على نورهم ، وبالقوة على قوتهم التي آتاهم من قبل .

ولقد كانوا يخشون ألا تتحمل أجسادهم قسوة العذاب ، فيرزقهم القوة ، والصبر ، والجلد في ايمانهم .

ولقد كانوا يخافون أن يتعرض الطاغية لاعراضهم ، فتظلّم الدنيا في أعينهم ، فيعمي الله عيون أعدائهم عن عوائلهم ، وأعراضهم ، ولا يمسونهم بسوء أو شر .

ولقد كانوا يخافون أن يتركوا من ورائهم أباء عاجزين ، وأمهات عجزة ، وأبناءاً صغاراً ، ونساءاً لا

حيلة لهم في العيش من بعدهم ، فيعطف الله عليهم قلوب قوم مؤمنين ، فيواسونهم في أرزاقهم ، ويقاسمونهم لقمة عيشهم .

الحمد لله ، الحمد لله ، الحمد لله ، الحمد لله ، عدد انفاس الخلائق ، الحمد لله فوق حمد الحامدين ،والحمد لله عدد قطر الماء ، والحمد لله كلما حمد الله حامد ، وكلما سبّح الله مُسبح ، والحمد لله عدد الرمل والحصى ، والحمد لله عدد امواج البحار ، والحمد لله كلما هبّت ريح ، والحمد لله كلما شرق شارق وكلما غرب غارب ، والحمد لله كما يحب ويرضى .

ونستغفر الله مما سبق منا من زلل ، وخوف ، وميل الى اليأس والدنيا ، ونستغفر الله مما سبق منا من الخوف ، ونستغفر الله كلّما هجس في نفوسنا هاجس إنَّ الله تعالى قد تخلّى عنا ، ونستغفر الله من حب الراحة والعافية .

نستغفر الله من سقطات أعمالنا ، ومن كبائر ذنوبنا وصغائرها .

﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا ، أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً ، كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، وأعف عنا ، واغفر لنا ،

وارحمنا ، أنت مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين ﴾[1] .

أجل شكر ، وإعتذار ، وحمد ، وإستغفار في نهاية هذه المرحلة من التعامل مع الله تعالى .

ولنقرأ معاً هذه الآيات البينات من كتاب الله تعالى ، ونختم به هذا الحديث فمسك الختام كلام الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، فسبّح بحمد ربك ، واستغفره ، إنهُ كان تواباً ﴾ [2] .

﴿ هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ﴾[3]

---

(١) البقرة ، الآية ٢٨٦ .

(٢) سورة النصر .

(٣) الأحزاب ، الآية ٢٢ .

الأعماق الحضارية للثورة الإسلامية المعاصرة

١ ـ مسؤوليتنا تجاه الثورة الإسلامية:

هل نحن مسؤولون تجاه الثورة الاسلامية ؟؟

ولماذا ؟

وما هو حجم هذه المسؤولية ؟ وما هي الوسائل الممكنة لتنفيذ هذه المسؤولية ، وادائها ؟

هذه هي الاسئلة التي اود ان اطرحها في هذا المؤتمر للبحث والاجابة .

والاجابة على هذه الأسئلة مفيدة ، وضرورية للعاملين في سبيل الله ، والدعاة الى الله تعالى اليوم ، ليعرفوا دورهم ، ومسؤوليتهم الشرعية تجاه الثورة الاسلامية في كل العالم الاسلامي ، وليقوموا بواجبهم الشرعي تجاه هذه الثورة ، بوعي وقناعة .

فلقد دخلت هذه الثورة المباركة عصراً جديداً فاعلا

ومؤثراً على درجة كبيرة جداً ، في الساحة الاسلامية السياسية والجهادية ، وغيّرت الثورة كثيراً من الثوابت السياسية ، والحسابات ، والمعادلات السياسية في المنطقة ، وفي العالم لصالح الاسلام ، واصبح المستحيل ممكناً ، والممكن مستحيلا .

فليس من شك ان هذه الثورة المباركة ، بهذه الصورة المبكرة ، كانت شيئاً اكبر من الطموح في حياتنا المعاصرة . فما كنا نطمح ان نحققه خلال فترة طويلة من الزمان ، حققه الله تعالى خلال فترة سنة ونصف تقريباً ، في ثورة اصيلة عامة شاملة على ارض ايران ، يقودها شيخ في الثمانينات من عمره المبارك ، من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله ، تذكرنا قسمات وجهه بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، الذين حملوا همّ الرسالة بعزم وتصميم وايمان ويقين بوعد الله .

تحققت هذه الأمنية الكبرى في حياة المسلمين ـ عودة الاسلام الى الحكم ـ خلال فترة قصيرة ، عمّتها ثورة شاملة لم تبق ، ولم تذر للظالمين اساساً في هذه المنطقة ، وفجرت الأرض من تحت عروشهم براكين ، واقامت للاسلام دولة مباركة في الأرض بعد امد طويل .

الضمانات الربانية لحماية الثورة:

وهيّـأ الله تعـالى لهـذه الثـورة من وسـائـل الأمـن والسلامة ، ما يكفي لتوفير الحماية الكافيـة لها ، وسط هـذه الاجـواء السيـاسيـة والأسـاليب العسكـريـة الصـاخبـة ، والمخـططات ووسائـل قـوى الاستكبـار العـالمي الجهنميـة ، لتمييـع واستهلاك مصـادره ، وضرب ايـة حركـة اسـلاميـة واعيـة في المنطقـة الاسـلاميـة ، تعمـل للتخلص من شـرك الاستعمار الغربي والشرقي .

لقد هيّأ الله تعالى لهذه الثورة من اسباب الحمـاية ، مـا يكفي لسلامتها وافشـال المؤامرات التي كـانت تعمل للكيـد بهذه الثورة .

العامل السياسي:

فقـد استطاعت الثـورة الاسلاميـة ان تمر بـذكـاء ، من خـلال مضيق التنـافس السيـاسي بـين الكتلة الشـرقيـة والغربية ، دون ان تنزع الى هذه الكتلة او تلك .

فالكتلة الشرقية كانت تشهد بارتيـاح انفلات ايـران من

قبضة الاستعمار الاميركي ، من دون ان يكلف ذلك الاتحاد السوفيتي شيئاً ، وكانت تراقب عن كثب هذه الثورة الاسلامية العارمة التي اسقطت وصادرت كل الوجود الأميركي في المنطقة . . . وبذلك فقد حققت الثورة الاسلامية هدفاً مهماً من اهداف الكتلة الشرقية ، وكان السياسيون الروس يعتقدون في نفس الوقت ، ان ايران اذا خرجت عن قبضة السياسة الاميركية فسوف لن تجد محيصا من الالتحاق بدائرة النفوذ السوفيتي ، وسوف يكون الاستكبار الشرقي هو البديل الطبيعي الذي يحل محل النفوذ الاميركي في ايران .

لقد كان من الواضح جداً ان الدوائر السياسية في الاتحاد السوفيتي ، لم تكن تفهم الطبيعة المستقلة والأصيلة للثورة الاسلامية ، وكانت تفهم هذه الثورة كسائر المؤامرات العسكرية التي تجري في المنطقة : خروج من دائرة نفوذ احدى الكتلتين ، وانضمام الى دائرة الكتلة الاخرى .

كان الاتحاد السوفيتي يعتقد ان هذه الثورة سوف تحقق هذه الخدمة الكبيرة للسياسة السوفيتية في المنطقة ، فكانت تتابع اخبار واحداث الثورة باهتمام ، وتعلن عن مواقفها

الايجابية تجاه الثورة ورفضها لأي تدخل اميركي في ايران ، وكان واضحا لدى الدوائر الاميركية ان الاتحاد السوفيتي سوف لن يقف مكتوف اليدين تجاه اية محاولة اميركية ، لاستعادة ايران الى دائرة نفوذها الأول ، بعد هذه الثورة .

وكانت السياسة الاميركية ـ في نفس الوقت ـ تعمل على ان لا تدفع ايران الثورة نحو الاتحاد السوفيتي ، وان لا تقطع آخر الجسور والخيوط التي تربطها بالنظام الجديد ـ وقد بقي الاحساس من جانب اميركا بضرورة التمسك والمحافظة بما تبقي من العلاقات الايرانية الاميركية ـ طيلة الحكومة المؤقتة ، وكانت اميركا ، انطلاقا من وجهة النظر هذه ، تحاول ان تتلافى اية مواجهة جدية بينها وبين حكومة الثورة .

ومن بين هذه التصورات والتقديرات السياسية السوفيتية والاميركية ، استطاعت الثورة الاسلامية ـ بحول الله ـ ان تمر بسلام .

وكان الامام الخميني حفظه الله يقدّر هذه الظروف السياسية بدقة ، عندما كان يقول : « ان اميركا لن تستطيع بحال من الأحوال ان تتجاوز حدودها » .

العامل الجغرافي :

كما ان الله تعالى حمى هذه الثورة من قوى الاستكبار العالمي ، بموقعها الخاص في قلب المنطقة ، التي تختزن اكبر كمية من احتياطي العالم من الوقود .

فان منطقة الخليج الفارسي ، التي تفجرت فيها الثورة الاسلامية ، تحفظ في جوفها اكبر المخازن الاحتياطية للنفط ، التي ادّخرها الله تعالى للبشرية في المراحل المتطورة من حياتها . وحياة الغرب وصناعته وزراعته المتطورة ، وحربه وسلمه ، ومكائنه ومحركاته الضخمة مرتبطة ارتباطا مباشرا بسلامة هذه المنطقة . والغرب يعرف هذه الحقيقة معرفة دقيقة ، ولذلك فان من الحماقة ان تعرّض اميركا هذه المنطقة للهيب الحرب ، وتشعل فيها نيران الحرب ، فان اصابع العابثين بأمن المنطقة هي اولى الاصابع التي تحترق في هذه الحرب .

وهذا الرأي يوضح لنا قلق الدول الكبرى والانظمة الرجعية في المنطقة من استمرار الحرب التي فرضها النظام العراقي على الجمهورية الاسلامية .

فلا شك ان اميركا اعطت الضوء الأخضر للنظام

العراقي في اشعال نيران الحرب ، ولا شك ان اميركا وحلفاءها وعملاءها في المنطقة يدعمون صدام التكريتي باستمرار ، في حربه مع النظام الاسلامي في ايران ، ولا شك ان اميركا قلقة كل القلق من تصاعد الحرب واستمرارها وامتداد لهيبها الى آبار النفط في المنطقة ، وانها جادة في ايجاد حل لانهائها ، بعد مرور قرابة ثلاث سنوات من اشتعالها ، ولو انها كانت تجد بديلا لصدام حاكم العراق ، لما توانت في اسقاطه لغرض انهاء الحرب . الا ان اميركا ترى ان الحل الاسلامي هو الحل الوحيد الذي تتجه اليه الامة ، وتخاف ان يفلت الامر من قبضتها في العراق ، كما فلت الأمر من قبضتها في ايران من قبل ، اذا سقط النظام في العراق . وبذلك نستطيع ان نفهم الموقف المتناقض من قبل اميركا وعملائها وحلفائها والأنظمة الرجعية في المنطقة . انها بالتأكيد ـ تريد اسقاط الثورة الاسلامية ومصادرتها ، ولكنها في نفس الوقت لا تريد اغراق هذه المنطقة بالمشاكل العسكرية والسياسية ، وتحرص على سلامة المنطقة ، وامنها والاستقرار فيها . لقد كان النظام العراقي يتصور ان هجوما جويا وبريا خاطفا ، كالذي صنعته اسرائيل مع الدول العربية عام ١٩٧٧ م ، يكفي لاسقاط الجمهورية الاسلامية ، والثورة الاسلامية ،

في بضعة ايام ، وللاستيلاء على خوزستان ، باسم جمهورية الأحواز العربية ، وضمها الى العراق ، او جعلها في دائرة النفوذ السياسي للنظام العراقي ، وليخرج صدام من هذه المعركة في زهو الأبطال المنتصرين ، بطلا لقادسية العرب في القرن العشرين .

فيقدم بذلك خدمة لأميركا ، وللأنظمة الرجعية في المنطقة ، ولكرسيه الذي يجلس عليه ، قبل كل شيء .

تلك كانت حسابات صدام واسياده ، والتي ورطته في هذه المعركة .

ولم يكن يتصور صدام ان ذلك الزهو الذي حققته الأيام والشهور الأولى من المعركة سوف يخلف الويل والثبور على عرشه ونظامه وحكمه ، وان الحرب التي اشعل نارها سوف تحرق اصابعه قبل كل شيء ، وانه سوف يستغيث بكل الأنظمة الرجعية في المنطقة ، وبأسياده من ورائهم ، وبكل المؤسسات والهيئات الدولية ، لانهاء الحرب ولن ينفعه ذلك .

العامل الاقتصادي:

اذن ، فقد توجهت المشيئة الالهية لحماية الثورة

بموقعها الجغرافي الحساس .

كما ان الله تعالى حفظ الثورة بنفس السبب وباعتبار آخر . فقد كان لوجود الثروة النفطية الكبيرة على ارض ايران اثر كبير ـ بلا شك ـ في حماية الثورة وسلامتها من الناحية الاقتصادية .

وكانت آبار النفط تعوض كل الخسائر التي تحملتها الثورة ، سواء الخسائر التي ترتبت على الثورة قبل قيام الدولة الاسلامية ، او التي تعرضت لها الثورة بعد قيام الدولة المباركة .

وما كانت الثورة تستطيع ان تتماسك من الناحية الاقتصادية بعد الأضرار الكبيرة التي لحقتها من الناحية المادية ، وتبدأ بالبناء والعمران ، وتعويض الخسائر ، لولا هذه الثروة التي منحنا الله تعالى ايّاها وجعلها في خدمة الثورة .

فقد كانت خسائر وخراب الحرب وحدها تكفي لافشال اية ثورة ، لا تحفّها الرعاية الالهية .

فقد دمرت هذه الحرب اكثر من عشر مدن كبيرة ، واكثر من الف قرية ، ودمرت الالاف من المنشآت

الاقتصادية والسياحية .

ويكفي ان تكون مصافي النفط في آبادان ، والتي هي من اضخم مصافي النفط في العالم ، واحدة من تلك المنشآت التي دمرتها الحرب الظالمة . ولقد كان من جملة الأهداف التي كان يريدها صدام ، والأنظمة في المنطقة ، من هذه الحرب ، ضرب الثورة الاسلامية من الناحية الاقتصادية .

ولقد استطاعت الثورة ـ بفضل الله تعالى ـ ان تعوض جزءاً كبيرا من الخسائر المادية ، التي الحقتها الحرب بها ، وان تتحول الى دور البناء والعمران ، وتتقدم في العمران شوطاً كبيراً ، حتى ان التقديرات العمرانية الدقيقة تقدر أن الخدمات العمرانية والتأسيسية في القرى ، والأرياف ، والطرق ، والمواصلات خلال هذه المدة من عمر الثورة ، تزيد على كل ما قام به النظام السابق ، خلال خمسين عاما .

والثورة الاسلامية في طريقها لتصعيد رصيدها من العملة الصعبة ، والاحتياطي النقدي . بينما فقد النظام العراقي خلال هذه الفترة احتياطيه النقدي ، الذي كان يبلغ ثلاثين مليارا من الدولارات ، ويثقل كاهله اليوم ما

يزيد على خمس واربعين مليارا من الديون ، عدا الدمار الذي الحقته الحرب بالصناعة والزراعة ، والضرائب الثقيلة التي تعطل عجلة الحياة في العراق .

ولا شك ان الثروات المعدنية ـ وبشكل خاص النفط ـ التي ادّخرها الله تعالى لهذه الثورة ، كان لها دور كبير في توفير الحماية والأمن الاقتصادي للثورة ، وقد منحت الثورة قدرة وقابلية على الصمود والمقاومة تجاه الضغوط الكبيرة ، التي واجهتها خلال هذه الفترة القصيرة ، من قبل الاستكبار العالمي وعملائها في المنطقة .

العامل الحضاري:

والعامل الحضاري بدوره كان له تأثير فعال في حماية الثورة ، فقد احتضن الشعب الايراني بكل قومياته : الفارسية والعربية والتركية ، والكردية ، والبلوش ـ هذه الثورة ، وتبنّى الدفاع عنها وحمايتها . والشعب الايراني شعب عريق وأصيل في تديّنه والتزامه وتبنّيه للاسلام . وقد تمكن الاسلام من روح هذا الشعب وقلبه وعقله ، وتفاعل مع الاسلام منذ الأيام الأولى لظهور الاسلام تفاعلا قويا ، واندكّت شخصيته القومية ، والوطنية في الاسلام ، كما اندكت وذابت

حضارته في هذا الدين .

وقد نشأ في أحضان هذا الشعب كبار علماء المسلمين المجاهدين في مختلف حقول الفكر الاسلامي في الفقه واصول الفقه ، والفلسفة ، والعرفان ، والأخلاق والكلام ، والتفسير ، وعلوم القرآن ، والحديث ، والسيرة والتأريخ ، والرجال ، وغير ذلك من فنون المعرفة والفكر الاسلامي .

وارتبط هذا الشعب بشكل خاص بأهل البيت عليهم السلام ، وخطّهم ، وتعاليمهم ، وأحاديثهم ، وحياتهم ، ارتباطا عاطفيا وعقليا واعيا ، بشكل قوي ومؤثر ، يندر وجوده في أية بقعة من بقاع العالم الاسلامي . وحياة أهل البيت عليهم السلام تقترن ـ على امتداد التأريخ الاسلامي ـ بالتضحية والثبات ، ومقارعة الظلم والقيم الأخلاقية . ولكل هذه المعاني والفصول والقيم من حياة أهل البيت (ع) تأثير فعال في حياة هذه الأمة . ونخص بالذكر من هذه الفصول ، فصول التضحية والفداء والشهادة من حياة الامام الحسين عليه السلام .

وقد أصبحت كل هذه الفصول والقيم جزءاً لا يتجزأ من شخصية الشعب الايراني بمختلف قومياته .

ولا شك ان لهذا العامل الحضاري والامتداد التأريخي دوراً مؤثراً في حماية الثورة وبقائها وسلامتها . فلم تفلح المخططات الاميركية في اجهاض الثورة ، ومصادرتها ، والقضاء عليها .

ورغم ان صدام حسين كان يضرب على وتر حساس ، عندما كان يعبر عن هذا الشعب المؤمن العريق في الاسلام بـ (المجوس) ، فان هذا الاعلام الخبيث سرعان ما تبخر ، ومن طريف ما ينقل ، ان بعض المجوس الايرانيين الذين هربوا برؤوس أموالهم الضخمة بعد الثورة واحتضنتهم ـ مع حفنة من البهائية ـ الدول الرجعية في المنطقة . . احتجوا على وصف الثورة الاسلامية بالمجوسية واعتبروا ذلك اهانة موجهة اليهم ، وابلغوا اعتراضهم للنظام العراقي بصورة رسمية ، فاعتذر النظام العراقي ، وخفّف من هذه التهمة في وسائله الاعلامية .

ولو أن هذه الثورة كانت نابعة من تربة حضارية طرية ورخوة ، لكان يمكن أن تقتلعها الأعاصير الشديدة . التي أثارتها قوى الاستكبار العالمي بوجه الثورة . ولكن الثورة الاسلامية تفجرت في قاعدة حضارية صلبة وصعبة

وقوية ، قاومت كل هذه الأعاصير ، ولا تزال تقاوم والى اليوم . وبعد أن قدم هذا الشعب عشرات الألوف من الشهداء والجرحى والاسرى ، لا يزال هتاف هذه الامة المؤمنة ، بحياة الاسلام ، وموت وسقوط الاستكبار العالمي ، وبشكل خاص أميركا ، يدوي في أرجاء الأرض ، ويحمل نفس القوة ، والايمان ، والغضب ، الذي كان يحمله هذا الهتاف في أيام الثورة الاولىٰ ، ويزيد عليه .

ولا شك أن لأصالة هذا الشعب ، وصلته القوية بالاسلام ، وارتباطه بأهل البيت عليهم السلام دوراً كبيراً في ذلك .

المسؤولية المتقابلة بين الثورة والحركة الاسلامية المعاصرة:

هذه الثورة المباركة ـ اذن ـ تملك من ضمانات البقاء والدوام والاستمرار ما يمكنها من الثبات على ارض المعركة ـ باذن الله ـ واولى هذه الضمانات واهمها ، والتي تتبعها سائر الضمانات . . رعاية الله تعالى لهذه الثورة ، والتي

تـراءت لكـل ذي عينـين ، ممّن آتـاه الله تعـالى بصيـرة ، وفهماً ، خلال هذه المدة .

ولا بـد ان يكون لهـذه الثورة المبـاركة شـأن كبـير ، في تـاريخ هـذه الامة ، وفي حيـاة وعمـل الحـركـة الاسـلاميـة المعاصرة .

فقـد قطعت الحـركة الاسـلامية المعـاصرة اشـواطـاً من الطريق ، ما كانت تقطعها لولا انتصـار الثورة الاسـلامية ، وقـرّبت هـذه الثـورة المبـاركـة البعيـد ، وذلّلت العقبـات الصعبة في الطريق .

ان الحركة الاسلامية لم تكن تملك من قبـل هذا قـاعدة صلبـة للعمل ، تنـطلق منها وتلجـأ اليها ، ولـذلـك كـانت تلجأ في اكثر الأحيان الى السرية في العمل ، والتحرك .

ومنـذ اليـوم الأول لنجـاح الثـورة الاسـلاميـة ، فقـد اعتبـرت ـ هذه الثـورة ـ القاعـدة الصلبة ، التي منهـا تنطلق الحركة الاسلامية واليها تأوي وتلجأ ، ومن على منـابر هـذه الثـورة في العالم تـرفع الحـركة الاسـلاميـة صـوتهـا ، وتعلن ظلامتها ومطالبها ، وتجـد في هذه الثـورة معينا لا ينضب ان شـاء الله ـ من الامـداد المـادي والمعنـوي ، الـذي تحتـاجـه الحركة الاسلامية .

ان الحركة الاسلامية المعاصرة قد تهيأ لها ، بفضل الله تعالى في هذه الثورة المباركة كل ما تحتاجة من دعم واعلام وتأييد ، ورأي وقوة ومنطلق تنطلق منه ، وملاذ تلوذ اليه .

فلا غنى للحركة الاسلامية المعاصرة في كل العالم الاسلامي عن الثورة ، والجمهورية الاسلامية .

كما لا غنى للثورة الاسلامية والجمهورية الاسلامية عن الحركة الاسلامية . . في العالم الاسلامي . .

فان الثورة الاسلامية تمتد الى العالم الاسلامي ، وتصدر قيمها الثورية وافكارها الحركية من خلال الحركة الاسلامية .

ان الحركات الاسلامية المعاصرة بمختلف توجهاتها المذهبية السنية والشيعية ، هي الجسور الممتدة بين العالم الاسلامي والثورة الاسلامية ، وعلى هذه الجسور تتقدم الثورة الاسلامية ، وتمتد الى العالم الاسلامي .

فلا شك ان الثورة الاسلامية لا تستطيع ان تؤدي رسالتها الاسلامية العالمية ، الاّ عندما تمتد الى اقطار العالم الاسلامي الى القرى والأرياف ، والمساجد ، والبيوت ، والمصانع ، والدوائر ، والمكاتب ، والمدارس ، والمجلات

والمطابع ، والى القلوب ، والأفئدة والأفكار .

وخير اداة تستطيع الثورة ان تستفيد منها في نقل افكارها وقيمها ، الى هذه المناطق والمواقع من العالم الاسلامي ، العلماء المتصدون للدعوة الاسلامية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والحركة الاسلامية المتصدية للعمل التغييري السياسي في هذه المناطق . .

وللحركة الاسلامية في هذا المجال ، دور كبير وفعال ، فهي تستطيع ان تكسب شعوب العالم الاسلامي لصالح الثورة الاسلامية ، وتستقطبها الى جانب الثورة ، وتكون لسان الثورة ورسولها .

فان الثورة الاسلامية ، في صراعها السياسي والمسلح مع قوى الاستكبار العالمي ، تحتاج الى الدعم السياسي للامة الاسلامية والى الرأي العام الاسلامي . والحركة الاسلامية تستطيع ان تحقق للثورة هذه الأهداف جميعا .

اذن فلا غنى للثورة الاسلامية عن الحركة الاسلامية ، ولا غنى للحركة الاسلامية عن الثورة الاسلامية .

وكل منهما يحتاج الى الآخر ، وهذه الحاجة المتبادلة تشكل علاقة متبادلة ، وصلة رحم متقابلة بين الثورة

والحركة وتشكل مسؤولية كل منهما تجاه الاخرى ، مسؤولية الثورة تجاه الحركة الاسلامية ، ومسؤولية الحركة تجاه الثورة الاسلامية .

ونحن هنا في جو الحركة الاسلامية ، في هذا المؤتمر ، نود ان نبحث عن مسؤولية الحركة الاسلامية المعاصرة ، تجاه هذه الثورة المباركة ، ونعيد الأسئلة التي افتتحنا بها هذه المحاضرة :

ما هي مسؤوليتنا تجاه الثورة الاسلامية ؟

وما هو حجم هذه المسؤولية ؟

وما هي الوسائل التي تمكّننا من تنفيذ هذه المسؤولية الشرعية ؟

العمق الحقيقي للثورة:

ولنقف ، قليلا ، عند الأبعاد الحقيقية لهذه الثورة ، ومدلولها التغييري الشامل . ان الثورة الاسلامية لم يقتصر امرها على تغيير في مناصب الحكم ، وسقوط نظام ، وقيام نظام آخر محلّه . وكان تأثير الثورة ودورها يقتصر على استبدال نظام مكان نظام آخر ، الا ان هذا الأمر لم يكن

ذا بـال ، في مسيرة الحـركـة الاسـلاميـة ، وفي العـالم الاسلامي ، وان امر هـذه الثورة كـان اعمق من قيام نـظام جديد ، محل نظام قديم .

لقـد تضمنت هـذه الثـورة ثـورة في القيم والافكـار والمفـاهيم ، والـرؤى والتصـورات ، وثـورة في العـلاقـات الاجتماعية ، وثـورة في قواعـد العمل السيـاسي ، وثورة في مراكز القوى والموازنات والمعادلات السياسية .

لقد كانت هـذه الحالـة الجذريـة في الثورة الاسـلامية ، اهم صفات هذه الثورة على الاطلاق .

وقـد تمكنت هذه الثـورة من اجتثاث جـذور الكثـير من الأفكـار والتصـورات والـرؤى التي تـرسّبت في مجتمعنـا الاسـلامي ، من هـذه الفتـرة الـطويلة من الـدهـر ، التي تغلغل الاستعمار فيهـا في صفوفنـا ، واستطاعت الثـورة ان تستبـدل هـذه المفـاهيم الى مفـاهيم نـابعـة من صلب الاسلام .

لقد اعادت الثـورة الاسلاميـة الى مجتمعنا ، الكثـير من مفـاهيمـه الحقيقيـة ، رؤاه ، وتصـوراتـه الأصيلة ، كـما اعادت اليه الكثـير من مصطلحـاته وشعـاراته . لقـد انستنا السنـوات العجـاف ، التي مـرّت بنـا ، خـلال فتـرة نفـوذ

الاستكبار العالمي في العالم الاسلامي ، مصطلحاتنا وشعاراتنا ، واستبدلنا بها المصطلحات ، والشعارات الغربية . كما انستنا هذه السنوات العجاف لغتنا وشخصيتنا ، واستبدلنا بها اللغة الأجنبية . كما استبدلنا بشخصيتنا شخصية اخرى ، ليست منا ، واستبدلنا بعاداتنا وتقاليدنا عادات وتقاليد نابعة من غير مجتمعنا . وبذلك فقد كنا ـ من غير ان نعلم ـ في طريق مسخ حضاري ، نفقد كل ما هو اصيل في شخصيتنا وتقاليدنا واعرافنا وافكارنا ومهمتنا ، وتأريخنا ولغتنا ، ونكتسب مكان ذلك كله ، تلك الحضارة المستوردة ، التي فرضت علينا من قبل الأنظمة الذيلية ، التي كانت تحكم بلادنا هذه المدة ، وتدافع عن مصالح القوى الاستكبارية بكل حرص واهتمام ، وتنقل الينا افكارها وتصوّراتها وتقاليدها واعرافها عبر السينما ، والتلفزيون ، والراديو ، والصحافة والكتاب ، والمدرسة .

ثم جاءت الثورة الاسلامية كالزلزال لتجعل عاليه سافله ، في حركة ثورية قوية ، واستعادت فيها الامة الملامح الحقيقية لشخصيتها وفهمها وحضارتها وتأريخها ، واخلاقها . وتغيّر كل شيء في حياة الناس ، حتى العلاقات الاجتماعية ، فتقاربت القلوب المتنافرة وتعاطف

الناس وظهرت المودة والتعاون في حياة الناس ، بشكل لا مثيل له من قبل .

وتغيرت المقاييس الاجتماعية في التقييم ، فالوضيع اصبح رفيعا ، والوجيه اصبح وضيعا ، وتغيرت مراكز القوى في المجتمع ، فتحولت المراكز الحساسة في المجتمع الى طبقة مستضعفة ، لم يكن لهم لها شأن من قبل ، وتحولت الطبقة الحاكمة والتي كانت تمسك بأزمّة الأمور من قبل ، الى هامش المجتمع .

وهكذا تغير كل شيء في البنية الاجتماعية للمجتمع ، وذلك ان الثورة غيّرت الانسان المسلم ، واذا تغير الانسان المسلم في تصوّراته ورؤاه وفهمه ، تغيّر كل شيء من حواليه .

ولذلك قلنا ان هذه الثورة كانت تشبه الزلزال الذي يجعل عاليه سافله ، في فترة قصيرة . .

وثورة بهذا العمق لا بد ان يكون تأثيرها عظيما على موازنات ومعادلات القوى في المنطقة .

ولا بد ان يكون لها دور فعال في القضاء على حالة الركود السياسي في المنطقة الاسلامية .

فقد قاد هذه الثورة الجبارة امة من المستضعفين ، لا يملكون من ادوات القتال والمواجهة المسلحة غير الأحجار المنتشرة على ارصفة الشوارع في افضل الحالات ، وغير قبضات الأيدي ، التي كانوا يرفعونها في وجوه الحكام الظالمين بغضب وسخط .

واستطاعت هذه الامة ان تدك بقبضات ايديها ، وهتافاتها المدوية بالتكبير ، قلاع الكفر ، والاستكبار العالمي في ايران .

وان تزعزع القواعد العسكرية الضخمة التي كانت تحمي المصالح الاميركية في هذا البلد الاسلامي .

وقد كان النظام الشاهنشاهي في ايران يمثل جزيرة الثبات بالنسبة الى السياسة الاميركية في المنطقة . فكانت اميركا تنظر الى النظام الشاهنشاهي والى شخص الشاه بنظر الثقة ، والاطمئنان ، وشاء الله تعالى ان تتعرض هذه الجزيرة السياسية ، التي كانت تضع اميركا ثقتها فيها بشكل مطلق ، لهذه الزوبعة ، التي لم تبق ولم تذر لأميركا فيها موضع قدم قبل اي اقليم آخر في هذه المنطقة .

وكانت الامة الاسلامية تتابع اخبار الثورة وانتصاراتها المتلاحقة ، وسقوط القلاع الأميركية في المنطقة واحدة بعد

اخرى ، بحرص واهتمام ، ولا شك ان انتصار الثورة الاسلامية ، وسقوط النظام الشاهنشاهي ترك اثراً نفسيا عميقا في هذه الأمة ، ودعا الامة الى ان تعيد حساباتها ، كما دعا قوى الاستكبار العالمي ان تعيد حساباتها .

فان الطلسم السحري ، الذي كان يحمي قوى الاستكبار العالمي ، في المنطقة ، وذيولها العميلة ، التي كانت تمارس الحكم في بلادنا .

هذا الطلسم بطل مفعوله ، وامكن لابن الشارع ان يتجاوزه خلال هذه الثورة .

فلقد كان جدار الخوف هو وحده الذي يحمي هذه الأنظمة الذيلية العميلة في المنطقة ، واسيادها في الشرق والغرب . وكانت هذه الأنظمة تحكم وتتحكم بالرعب والارهاب ... وكان هذا السلاح هو السلاح المفضل لحكام المنطقة ، في السيطرة على منطقتنا الاسلامية ، وفي المحافظة والابقاء على نفوذ الاستكبار العالمي ومصالحه فيها .

ولقد حطمت هذه الثورة جدار الخوف ، واصبح الانسان المستضعف يتمكن من الوقوف بوجه السلطة ، والصراخ بحقه ، والهتاف بموت اميركا وروسيا واسرائيل ،

وسقوط الأنظمة العميلة لها .

فلقد علّمتنا هذه الثورة ان القوة الاسطورية لهذه الأنظمة ، ليست الا اسطورة من نسج الوهم والخوف .

وان بالامكان ان يتجاوز ابن المدينة ، وابن الريف العادي بقبضة يديه ، وبقلبه العامر بالثقة بالله تعالى ، هذه الأنظمة ووسائلها الارهابية .

وان آخر ما تستطيعه هذه الأنظمة من وسائل الارهاب ، والضغط ، هو التعذيب ، او القتل ، وذلك اقصى ما يتمناه المؤمن في سيره الى الله تعالى .

وان اكثر ما يستطيع الطاغية ان يسلبه من المؤمن ، حريته وحياته ، وهذه الدنيا الزائلة ، وذلك اقل ما يستطيع ان يقدمه الانسان المؤمن الى الله تعالى .

فهذه الثورة كسرت السدود والحواجز ، التي كانت تحمي الحكام في منطقتنا الاسلامية ، واسقطت هيبة الحاكمية ، واعادت الى الأمة هيبتها ، والى الاسلام قوته الحقيقية ، الفاعلة والمؤثرة على الصعيد السياسي ، وكسرت شوكة الأنظمة العميلة ، وقوى الاستكبار التي تمدّ ، وتساند هذه الأنظمة .

ولا شك ان اميركا وروسيا يجدان في ذلك خطرا على كيانهما ، ومصالحهما في المنطقة الاسلامية ، وعلى ثبات المنطقة السياسي ، اكثر من اي خطر آخر .

ان كلا من الدولتين العظميين (كذا) ، لا يخافان من التوسع الهائل في صنع ونصب الأسلحة الاستراتيجية الذرية ، الذي يقوم به الطرف الآخر ، بقدر ما يخافان من انطلاق الانسان المسلم في المنطقة الاسلامية من قيود الوهم والتبعية والذيلية .

ان الأسلحة الاستراتيجية يمكن السيطرة عليها ، ولكن الانسان المسلم ، اذا انفلت من عقاله ، الذي عقله به الطاغوت ، وتحرّر من قيوده ، فلا يمكن السيطرة عليه بحال . واذا تجاوزت هذه الثورة العقبات والعراقيل ، التي يزرعها الاستكبار العالمي في طريقها ، واستطاعت ان تمتد الى العالم الاسلامي ، وترفد العالم الاسلامي بهذه الروح الثورية الاسلامية ، والشجاعة ، والاقدام ، والثقة بالله ، والغضب ، والسخط ، فلا يستطيع الاستكبار العالمي ان يقاوم هذا الزحف الاسلامي الكبير ، ولا يبقى له موضع قدم في الأرض الاسلامية .

ان الاستكبار العالمي بجناحيه : الغربي ، والشرقي ،

يدرك جيدا هذه الحقيقة ، ويدرك جيدا ان لهذا الحدث التاريخي ما وراءه ، وان هذه الثورة ليست كغيرها من الأحداث في تأريخنا المعاصر ، وانها تشكل منعطفا تأريخيا حساسا في حياة هذه الأمة .

وهذا هو سرّ الاهتمام الكبير ، الذي يبذله الاستكبار العالمي بكل اطرافه واجنحته ، بأمر هذه الثورة .

ومن الصعب ان نجد في حياتنا السياسية المعاصرة امرا يكتسب كل هذا الاهتمام ، من اطراف سياسية بعيدة ومتناقضة ومتضاربة ، من اقصى اليمين الى اقصى اليسار ، كالثورة الاسلامية .

الثورة الاسلامية تراكم من الفعل والانفعال:

عندما نسبر ـ بدقة ـ عمق هذه الثورة ، ونتحرى جذورها واسبابها ، نجد ان هذه الثورة كانت حصيلة تراكم من العمل والفعل الايجابي المستمر ، وتراكم من الانفعال والحرمان والاضطهاد .

ومن هذين الأمرين تكونت هذه الثورة ، ولا بد ان نفتح هذا الحديث بعض الشيء .

تراكم من الفعل:

خلال فترة الصحوة الاسلامية ، انصرف الكثير من ابناء هذه الامة المخلصين ، الى العمل الجاد والصادق ، لاعادة الاسلام الى مجاري الحياة ، بعد ان تمكّن المستعمر الكافر من اقصاء الاسلام من حياة هذه الامة .

وكانت هذه الجهود تتجه نحو هدف واحد من انحاء مختلفة ، وبصور كثيرة ومن كل اقطار العالم الاسلامي تقريبا .

فكانت هناك الحوزات العلمية التي ترفد المساجد ، والبلاد ، والمدارس ، والمنابر والأوساط الاجتماعية ، بالعلماء والأئمة والخطباء والمفكّرين والكتّاب ، وكان هذا هو المعين الأكبر خلال هذه الفترة .

وكانت هناك الحركات الاسلامية التي تعمل سرا او جهارا ، في مختلف اقطار العالم الاسلامي . وهناك الجماعات الاسلامية العاملة ، والمدارس والمساجد والمكاتب ، والمؤسسات الاسلامية والهيئات الصغيرة والكبيرة ، وهناك المعين البشري لهذه النشاطات الاسلامية من شيوخ وشباب ، وعلماء وطلبة ، واساتذة ، وتجار

وعمال وموظفين وغير ذلك .

وهذه المؤسسات واولئك الناس ، كانوا يعملون جميعا لاعادة الاسلام الى صلب الحياة وبايمان واخلاص ، ولا شك ان هذه الأعمال المتفرقة ، والنشاطات الموزعة ، كانت تشكل بمجموعها فعلا عظيما في الساحة الاسلامية ، وتراكما هائلا من الفعل المؤثر الايجابي ، باتجاه اقامة الحكم الاسلامي ، على وجه الأرض .

تراكم من الانفعال:

وفي نفس الوقت كان يجري ظلم شامل في المنطقة الاسلامية ، من قبل الحكام ، واتباعهم ، واسيادهم ، وبكل الأشكال المتصورة : ظلم اداري ، وسياسي ، واقتصادي ، واجتماعي ، وثقافي ، وديني ، وقومي ، ومذهبي ، ومن كل جوانب الحياة ، ظلم شامل وعريض ، وعدوان على اموال الناس وكراماتهم ، وحقوقهم وحريتهم ، واعراضهم ، ومقدساتهم ومطاردة المؤمنين في ارزاقهم ومضايقتهم في حريتهم وسجنهم وتعذيبهم ، وتهجير عشرات الالآف منهم واعدامهم بصورة اعتباطية ، ومن دون اي مقاييس ومعايير واصول .

لقد تعرضت الأمة الاسلامية ، في هذه الفترة من تأريخها ، لظلم فظيع يقلّ نظيره ، وان صور الظلم والعدوان ، الذي وقع خلال هذه الفترة على العاملين والمستضعفين من هذه الأمة فوق حدود التصور ، وان العذاب الذي كان يصبّه المجرمون على العاملين في سبيل الله ، في الزنزانات فوق حدود التصور ، وان الاستهانة بحقوق الناس وكرامتهم وحريتهم ومستقبلهم واعراضهم وشؤونهم الشخصية ، اصبح امرا مألوفا عند الأنظمة ، ولدى الناس في المنطقة الاسلامية .

ولا شك ان هذا الركام من الظلم والعدوان والحرمان والاضطهاد اذا انضم اليه تراكم الفعل والعمل ، الذي تحدثنا عنه قبل قليل ، فانه يستتبع انفجارا هائلا في المنطقة الاسلامية .

وكل المعنيين بالعمل الاسلامي ، وذوي الخبرة والبصيرة بالمنطقة ، كانوا يقدّرون ان انفجارا هائلا يتوقع حدوثه في هذه المنطقة ، وفي وقت غير بعيد .

بلادة الحس السياسي للغرب:

ومن عجب ان اجهزة الرصد السياسي للاستكبار

العالمي ، وعملاءهم وذيولهم في المنطقة لم يحسوا بقرب الانفجار ، ولذلك فلم يأخذوا الاستعداد الكافي للوقاية منه ، وللابتعاد عن لهيب الانفجار ، وآثاره .

ان عجز الاستكبار العالمي عن تقدير خطورة الموقف السياسي في المنطقة الاسلامية ، وبالتالي ، استمراره في الاستهتار بالانسان وكرامته ، وبالاسلام وقوته ، يبعث في نفس الانسان الشك في فهم وادراك اجهزة الاستخبارات والأمن الغربية والشرقية ، وامتداداتها في هذه المنطقة . وان الانسان ليعجب من هذه البلادة السياسية في مثل هذه الأجهزة الأمنية المعقدة ، والشديدة التعقيد .

الانفجار في جزيرة الثبات:

ان اميركا كانت تعتقد ان ايران تشكل جزيرة الاستقرار والثبات السياسي في المنطقة ، وانها تضع قواعدها العسكرية وثقتها في ايران ، على ارض صلبة امينة . . . ولم تعلم انها تضع قواعدها وخططها المستقبلية على فوهة بركان . . لا يعلم احد في اية لحظة يثور ، فلا يبقى ولا يذر . وقد ثبت ـ ولا مجال للارتياب فيه ـ ان تقديرات الخارجية الأميركية لما كان يجري في ايران ،

تقديرات خاطئة ، بعيدة عن الواقع .

لقد كان يغلي موج الغضب ، ويتصاعد مدّ العمل والجهاد داخل الأمة ، ولقد كان يتكون في عمق المجتمع - بهدوء وصمت - ثورة نابعة من صميم وآمال واعمال الأمة . . . ولم ينتبه لكل ذلك الاستكبار العالمي .

محاولة الوقوف امام زحف الثورة:

ان الذي حدث في ايران كان ثورة ، بكل معنى الكلمة ، ثورة نابعة من الأعماق تكونت بهدوء في عمق الحضارة الاسلامية ، وتراكمت عواملها بمرور الزمان ، حتى اصبحت تشكل حتمية تأريخية لا يمكن اجتنابها بحال من الأحوال .

وحدثت الثورة ، ووقع الانفجار الهائل ، وكان نقطة البدء في هذا الانفجار ، ايران ، وكان الانفجار هائلا حقا ، لا يمكن لأحد ان يقف امامه . . ان الثورة كانت عارمة وقوية ، تسحق كل من يقف امامها ، ويعرقل سيرها بقسوة ، وقوة .

ان عجلات الثورة كانت تطوي المسافات الزمنية

الشاسعة بسرعة وقوة ، وكانت تسحق كلّ من تحدّثه نفسه ان يتصدّى لوقف زحف الثورة .

ومرة اخرى اخطأت اميركا في تقديرها لقوة الثورة واستمراريتها ، كما اخطأت في المرة الأولى في التنبؤ بحدوث الثورة ، ووقوعها . ولو كانت اميركا تعرف حقيقة قوة هذه الثورة ، لم تكن تقف امام زحف الثورة .

ان اميركا حاولت ان تتصدى للثورة وتستوعبها وتحرّفها ، ومدّت لذلك اذرعها ، وحبالها ، ورجالها الى وسط تيار الثورة ، فكان نصيبها صفعة اقوى من الصفعة الأولى ، واحتلت الثورة السفارة الأميركية وفضحت اسرار شبكاتها الجاسوسية ، وقطعت آخر خيوط الصلة مع اميركا . . وقال الامام الخميني حفظه الله في ثقة واطمئنان : (وماذا نصنع بالصلة مع اميركا ؟) (ان امّتنا تتخذ اليوم الذي قاطعنا فيه اميركا عيدا) .

الصفة الشمولية للثورة:

لقد كان وقع الثورة وقع الزلزال في المنطقة ، اهتزّت له المنطقة بعنف ، ولا بدّ لكل انفجار من نقطة بداية ، وكانت نقطة البداية في هذا الانفجار ، ايران .

ولا شك ان ايران لا تزيد على ان تكون نقطة البداية لهذه الثورة المباركة وارضا صلبة ، وقاعدة متينة لهذه الثورة . وان هذه الثورة اوسع من ايران ، وسوف تمتد الى العالم الاسلامي كله ، وتتجاوز الحدود السياسية ، والاقليمية والجغرافية لايران .

ان هذه الثورة لكل العاملين ، وكل المستضعفين . ولقد ساهم في صنعها كل عامل في سبيل الله ، وضع خطوة على طريق ذات الشوكة ، وقطع شوطا من الطريق ، وشارك في وضع لبنة في بناء هذا الصرح .

وحتى ذلك العالم الديني الذي كان يجمع الناس حول المسجد ، ويبثّ فيهم روح العمل والجهاد ، ويعطيهم دروسا في الايمان والعمل والأخلاق في اقصى البلاد ، وفي قرية صغيرة مجهولة من العالم الاسلامي له حصة ، ونصيب ودور في صنع هذه الثورة .

وذلك المعلم الذي كان يجمع ابناء المسلمين حوله في صف متواضع ، ويدرّسهم مفاهيم الاسلام في العمل والجهاد ، له نصيب في هذه الثورة .

ولقد ساهم في هذه الثورة كل من تحمّل شطراً من عذاب هذه الأمة ، وحرمانها ، وكل من تحمّل ظلما ، او

عدوانا ، او اضطهادا في سبيل الله ، وكل الذين هجروا من ديارهم او سجنوا ، او عذبوا ، او قتلوا في سبيل الله . لقد شارك في صنع هذه الثورة كل الشهداء ، والسجناء ، وكل الأرامل ، والثكالى والأيتام . ولقد شارك في صنع هذه الثورة كل قطرات الدماء التي اريقت في سبيل الله ، وكل قطرات الدموع التي بلّلت الطريق ، وكل لوعة وآهة ، وكل صرخات المعذبين تحت السياط ، ومناجاة المسجونين في ظلمات الزنزانات .

اجل لقد ساهم كل اولئك ، وكل ذلك ، في صنع هذه الثورة وتفجيرها ، وكل اولئك شركاء في هذه الثورة المباركة ومساهمون فيها ، ولا بد ان تمتد الثورة الى كل العاملين والمحرومين الذين صنعوها عاجلا ، (ولا نقول عاجلا او آجلا) وفي كل المنطقة الاسلامية .

ولن تستطيع حدود وهمية سياسية ان توقف زحف المد الاسلامي الكبير المنحدر الى هذه المنطقة المباركة من الارض .

تعميق العلاقة العضوية بين الثورة وابنائها:

وان على الحركة الاسلامية ، تعميق هذه العلاقة

العضوية بين الثورة الاسلامية ، وكل العاملين ، والمجاهدين ، والمحرومين والمستضعفين في المنطقة الاسلامية .

ان علينا ان ننشر هذا الوعي في صفوف العاملين ، والمحرومين على نحو سواء ، ونشرح لهم صلة الرحم القريبة بينهم ، وبين هذه الثورة المباركة ، وان هذه منهم واليهم ، ونتاج افكارهم ، واعمالهم ، وجهادهم ، وجهودهم ، ودموعهم ، ودمائهم ، وهي حصيلة عذابهم ، وعنائهم ، واضطهادهم ، ومعاناتهم على طريق ذات الشوكة . . فهم اصحابها ، واولياؤها ، واولى الناس بها ، واقرب الناس رحما بها ، وانتصارها انتصارهم ، وانتكاستها ـ لا سمح الله ـ انتكاسة لكل العاملين والمحرومين على وجه الأرض .

ان تعميق هذا الشعور والحس في نفوس العاملين والمحرومين من المسلمين في كل المنطقة الاسلامية ، من اهم واجباتنا ومسؤولياتنا تجاه الثورة الاسلامية .

تعميق الاحساس بالمسؤولية تجاه الثورة:

والى جانب هذا الاحساس بالقربى ، يجب ان نعمق

في نفوس العاملين والمستضعفين من المسلمين الاحساس بالمسؤولية تجاه الثورة . فان هذه الثورة اوسع من ايران ، وان ايران لا تزيد على ان تكون نقطة انطلاق للثورة فقط ، ولذلك فان مسؤولية حفظ وتصعيد وامتداد واستمرارية واستقامة الثورة لن تقع على عاتق الجمهورية الاسلامية فقط ، وانما تقع على عاتق كل المسلمين العاملين في سبيل الله ، والمحرومين والمستضعفين .

وبقدر ما نستطيع ان نعمق هذا الشعور في نفوس المسلمين في العالم الاسلامي ، نستطيع ان نستقطب رأي العالم الاسلامي الى جنب الثورة ، كما نستقطب السواعد ، والقوى الصالحة لصالح الثورة ، والى جنبها ، وبالتالي نستطيع ان نساهم في انجاح الثورة ، وتصعيدها ، وامتدادها الى العالم الاسلامي ، واستمراريتها .

٢- خط الثورة

خط الامام في مسيرة الثورة ، كان من اعظم مكاسب هذه الثورة المباركة بالتأكيد رغم ضخامة ، واهمية كل مكاسب الثورة في الحقول السياسية والفكرية والاقتصادية والجهادية .

وعلى قدر اهمية هذا الخط ، وقيمته ودوره في بناء الثورة ، واستمراريتها ، تكون مسؤوليتنا تجاه الخط وحمايته .

وخلال السنوات القليلة التي قبل الثورة ، وبعدها ، لم يتعرض للخطر شأن من شؤوننا ، كما تعرض الخط . فلقد كان هذا الخط موضع استهداف اعداء الثورة الاسلامية ، قبل الثورة وبعدها .

واعداء الثورة عندما يستهدفون خط الثورة ، فانما

يستهدفون قلب الثورة ، ويعلمون انهم اذا اصابوا الخط فانما يصيبون المقتل من جسم الثورة .

فان الخط قلب الثورة وعقلها وروحها وقيمها ، ومن دون الخط لا تزيد الثورة على ان تكون مؤامرة على الجهاز الحاكم في البلد واستبدال وجوه بوجوه اخرى .

ان مصدر قوة ثورتنا ، وارتباطها بالأمة وتفاعل الامة معها ، هو وجود خط الامام في صلب الثورة .

ووجود الخط هو الذي يجمع الناس حولها ويربط الناس بها ، ويحشد الأمة حولها ، ويدعو الامة الى الوقوف الى جنب الثورة والتضحية للثورة . ولذلك كان الامام يقول في خضم الصراع مع بني صدر ، وكتلته من الذين تسلّقوا جدار الثورة واندسّوا في صفوفها ، واحتلوا مواقع حساسة ، في لحظة غفلة من الامة ، ثم بدأوا يستعرضون عضلاتهم السياسية امام الناس . . كان الامام يقول لبني صدر في خضم هذا الصراع « ان هؤلاء الناس لا يريدونك انت ولا انا ، انما يريدون الاسلام » .

ان قضيتنا الاولى والاهم من هذه الثورة المباركة ، مسألة الخط ، واما المسائل الاخرى فدورها دور ثانوي في مكاسب ومسائل الثورة .

لم يكن الهدف من الثورة ، الأرض ، او النفط ، او المال، او السلطة ، وانما كان الهدف الأساسي من هذه الثورة اعادة الخط الاسلامي الأصيل الى صلب المجتمع ، وتحكيم الاصول الاسلامية في الحكم ، وتحرير الناس من الطاغوت ، وتعبيدهم لله تعالى .

وتحكيم هذه الاصول تعيد الينا ـ بالتأكيد ـ السيطرة على الارض ، والمال ، والسلطة والنفط ، ولكنه شيء آخر غير النفط والمال ، والارض ، واسمى منها جميعا .

تحريف الثورة :

لقد حاول ـ بجهد وخبث ـ بعض المندسّين في صفوف الثورة في ايامها الاولى ، ان يحرفوا الثورة عن خطها الاسلامي الأصيل ورسالتها ، الى رسالة نفطية ، ويجعلوا هذه الانتفاضة والثورة الاسلامية الكبرى امتدادا للحركة التي قادها الدكتور مصدق .

ولكن قائد الثورة الامام الخميني ـ حفظه الله ـ كان واعيا لهذه المحاولات التحريفية لخط الثورة ، ورسالتها فأعلن ان الامة « انما ضحت في هذه الثورة بأفلاذ اكبادها ، واعزائها من اجل الاسلام ، وليس من اجل النفط » .

واذا عاد الاسلام الى حياتنا ومجتمعنا فاننا نملك كل شيء ، بما فيه النفط ، والأرض ، والسيطرة ، وكان الامام يقول . . « اننا دفعنا ثمن هذه الثورة غاليا ، فلا نتركها عرضة للأطماع والألعاب السياسية ـ وحفنة من السياسيين المحترفين في اللعبة الدولية » .

لقد كان انتصارنا نحن في هذه الثورة قبل كل شيء انتصارا في الخط ، ولأول مرة في تاريخنا السياسي المعاصر يبرز الخط الاسلامي الأصيل على الساحة السياسية والدولية ازاء الخطين : اليمين واليسار ، وما بينهما من خطوط ، واتجاهات .

ويبرز الخط الاسلامي باتجاهه الأصيل المستقيم ، في وقت استنفد فيه الخط اليميني ، والخط اليساري قدرتهما على البقاء ، ولم يعد لهما ذلك البريق الخاطف الذي كان يحيطهما اول الأمر .

وقد عرفت امتنا ان هذه الخطوط والأفكار الدخيلة لم تعد تحمل مقومات البقاء ، واثبتت خلال هذه الفترة من الممارسة السياسية فشلها على الساحة السياسية ، والاقتصادية والثقافية والاجتماعية في حياتنا . وشاء الله تعالى ان يبرز الخط الاسلامي على الساحة السياسية في

وقت هزيمة الخطوط الفكرية والسياسية الاخرى .

الاعماق الحضارية لخط الإمام:

والخط الذي تبنّته الثورة وسارت عليه ، تمتد اصوله ، وجذوره الى دعوة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، وليس فيه شيء جديد ، الا ما يتعلق بظروف التطبيق والعمل . والثورة تتحرك على خطى اولئك الصديقين الذين حمّلهم الله تعالى حكمته ورسالته على خطى ابراهيم ، ونوح ، وموسى ، وعيسى ورسول الله عليهم صلوات الله وسلامه ، وعلى خطى اهل بيت رسول الله عليهم السلام .

كما تستمد الثورة فاعليتها ، وفهمها لاسلوب التحرك ، والعمل من حياة هؤلاء القادة عليهم السلام ، وتحرّكهم ، وعملهم في المجتمع ، وعلاقتهم بالله تعالى وبالناس .

وعي المحنة:

ثم تستمد الثورة تصوراتها ، وفهمها لخط التحرك السياسي والجهادي ، من خبراتها وتجاربها على طريق

الاسلام خلال هذه السنوات المباركة ، ولا اقول العجاف ، بل سني المحنة .

لقد زوّدتنا هذه السنوات التي عشناها في مواجهة التيارات الكافرة التي دخلت بلادنا وبيوتنا ، وفي مواجهة الغزو السياسي والفكري والعسكري للغرب والشرق ، وفي مواجهة عملاء الاستكبار الغربي والشرقي في بلادنا ، وفي اتون المحنة ، وزحام المشاكل ، وفي وسط الابتلاءات السياسية الكبيرة ، وفي داخل الزنزانات وتحت التعذيب ، وفي دار الهجرة ، وفي مواجهة اللعب السياسية ، وفي مواجهة محاولات الاستكبار الغربي والشرقي لاجهاض الثورة او تطويقها ، او مصادرتها او تمييعها ، او تحجيمها ، او ترويضها للعبة الدولية . وفي الفرار والاختفاء من عيون الظالمين ، وفي المواجهة المسلحة للطغاة والظالمين ، وفي التصدي للمنافقين بعد انتصار الثورة ، وفي مواجهة لعب ، واساليب المنافقين الماكرة والخبيثة والوحشية واخيرا في مواجهة الحرب التي اثارها النظام العراقي ضد الثورة بإشارة ، ودعم ، وتبريك من الاستكبار العالمي بكلا جناحيه . . . اقول لقد زوّدتنا هذه السنوات المباركة التي عشنا فيها في وسط حافل بالعمل والجهاد والتضحية . الكثير من الخبرات ، والتجارب والتصورات والرؤى

السياسية ، والجهادية ، والتي ساهمت في تكوين الخط وبلورته ، وابرازه على شكل خط سياسي جهادي متكامل .

كما ان هذه الفترة الحافلة بالمحنة والابتلاء ، والعمل ، والجهاد كان لها التأثير الكبير في تعميق الوعي الثوري الاسلامي ، والوعي الحركي ، والجهادي في امتنا ، وتعميق ايمانها بالخط ، وتفاعلها مع خط الامام .

فلولا هذه المحن المتوالية التي تعاقبت على الامة بعد الثورة ، ولولا المواجهات الوحشية للمنافقين ، والتصديات الاميركية الفاشلة للثورة ، والمحاولات التجسسية للاس بار الشرقي ، والحصار الاقتصادي والحرب . . لولا هذه المحن والابتلاءات المتوالية ، التي تعاقبت على امتنا بعد الثورة ، لم يبلغ الوعي السياسي ، والحركي للخط ، هذه المرحلة من النضج عند جميع الناس ، على اختلاف مستوياتهم .

ان الشيء الذي يألفه الناس تأريخيا في المجتمعات ، هو ان الوعي السياسي يتحقق دائما في طبقة النخبة المثقفة ، ولا يتجاوز غالبا هذه الطبقة . وكان الوعي من الخصائص الفكرية لقمة الهرم الاجتماعي - في حالات

سلامة الهرم والقمة ـ وينـدر ان ينزل الـوعي السياسي الى قاعدة الهرم الاجتماعي ، حتى في الحالات الصحية للهرم الاجتماعي . فينـدر ان نجـد ادراكـا صحيحـا للقضـايـا الاجتماعية ، والسياسية المعقـدة وحساً سياسيا مـرهفا في الأوساط الشعبية في الشارع والسوق والمعمل والحقل .

في وعي النخبة ، ووعي الجمهور:

ومن خصائص هذا الـوعي السياسي للخط انـه لم يكن يقتصر على دائرة النخبة المثقفة فقط كما يحصـل عادة ، وانمـا نـزل هـذا الـوعي الى الشـارع ، وتمكن من عقليـة جميـع الأفـراد ، تمامـا كما يتمكن من عقليـة افـراد النخبـة المثقفـة المخلصة ، ومنحهم حصانـة ومناعـة فكريـة وسياسيـة ، كما منحهم صـلابـة وقـوة ، وهـذه الحـالـة تتفق تـأريخيـا في المجتمعات الانسانية ولكنها نادرة الاتفاق .

الغوغائية والوعي:

التصـور الغـربي للمجتمعـات البشـريـة هـو ان حـالـة الغـوغـائيـة في الحـالـة الـطبيعيـة المسيـطرة عـلى الأوسـاط الشعبيـة والجماهـير ، والعقل الجمعي هـو الـذي يـوجـه

التجمعات البشرية ، وليس التفكير الموضوعي ، والفهم الدقيق والتشخيص الصحيح .

وهذا تصور صحيح للمجتمعات غير الموجهة . ففي المجتمعات غير الموجهة يحكم العقل الجمعي التكتلات والتجمعات البشرية ، وحالة الغوغائية تكون هي الحالة الغالبة ، وليس الأمر كذلك في المجتمعات الموجّهة .

وقد لاحظنا في تيار الثورة الاسلامية ، ان الجمهور استطاع بفضل التوجيه المستمر ، ان يتخلص من حالة الغوغائية ، ويخضع في تحرّكه السياسي ، والجهادي للتشخيص الصحيح والتفكير الموضوعي ، ويتناول القضايا السياسية والاجتماعية المعقدة بحس سياسي مرهف ، وتشخيص دقيق ، وتفكير موضوعي .

وقد كانت هذه القفزة الاجتماعية من اهم خصائص الثورة الاسلامية ، حيث استطاع جمهور الثورة ان يواكب التحرك السياسي والجهادي للثورة ، في دقة ووعي وذكاء منقطع النظير . لم ينغش الجمهور ولم ينخدع ، ولم يغلب على رأيه وتفكيره . وحينما كان يصادف في بعض الأحيان ان يزلّ الجمهور عن جادة الحق ، والتصور الواعي الصحيح ، كان يعود سريعا ، ويصحح خطأه ، ويتلافى الخطأ .

لقد اخطأ الجمهور بالتأكيد ، في انتخاب ابو الحسن بني صدر رئيسا اولا لأول جمهورية اسلامية بتربيته الغربية ، ولقد صفق المخططون الأميركان لهذا الاختيار ، وعادت اليهم ثقتهم في خططهم السياسية ومكرهم . لكن سرعان ما عادت الامة الى وعيها وتحركت باتجاه تدارك خطئها الكبير ، وتجمعت في الشوارع تنادي بسقوط « الشاه الثاني : بني صدر » وخيّبت ظنون الدوائر السياسية الأميركية .

الثورة الثالثة:

لقد مرت على هذه الثورة ، ايام مباركة ، ولا نقول سوداء ، لأن الفتنة والمحنة في تأريخ الامم ـ في رأينا ـ مصدر كل بركة ووعي ، وحركة . . مرت على الثورة ايام مباركة لم يبق لخط الامام من رصيد ، غير جماهير صلاة الجمعة ، والتظاهرات والمسيرات ، وتجمعات دعاء كميل ، ومجلس الشورى الاسلامي .

وفيما عدا ذلك ، فقد كان بني صدر والحفنة من الرجال الذين جاء بهم ، يصولون ، ويجولون في رئاسة الجمهورية والاذاعة والتلفزيون والصحافة ، والمراكز

الحساسة ، والثقافية ، والاعلامية ، والعسكرية ، وغير ذلك من المراكز الحساسة في الدولة .

وكان الامام ، على قدرته الفائقة على ضبط النفس في المواقع الحساسة ، لا يكتم غضبه وكان يصرخ ويغلي عندما يرى ان هذه الحفنة تحاول ان تحرف مسيرة الثورة من اتجاهها الاسلامي الأصيل ، الى اتجاه ليبرالي ايراني ديمقراطي ، موالٍ للغرب .

فتحركت جماهير صلاة الجمعة ، والمسيرات ودعاء كميل ، وهم ينادون « لسنا نتركك وحدك يا امام كما ترك اهل الكوفة الحسين (ع) في يوم الطف » . واستطاعت هذه الجماهير ان تعيد المياه الى مجاريها ، وتطرد هذه الحفنة من كراسي الحكم الى حيث كانوا من مقاهي باريس .

لم يكن بني صدر وحفنته يفقدهم الذكاء السياسي ولم تكن هزيمتهم بسبب قلة الذكاء . .ولكن الجمهور كان على مستوى رفيع من الوعي ، والفهم السياسي وكان على استعداد كاف للحضور المستمر في الساحة السياسية .

الحضور المستمر في الساحة السياسية:

بورك في هذا الجمهور ، ووعيه وتضحيته ، وصبره في سبيل الله تعالى . لم يفارق الساحة السياسية ، ولا لحظة واحدة ، ولم يغب عن الساحة في تلك اللحظات الحرجة الحساسة ، وظل يتابع الأحداث السياسية وتطوراتها بدقة متناهية ولحظة بعد لحظة ، ويكتشف بذكاء وسائل المنافقين واساليبهم ، ويبادر الى فضحها بكل وسيلة ممكنة . ولم يترك هذه الثورة ، لتكون لعبة لحفنة من الرجال المنحرفين للسياسة والالعاب السياسية .

لقد كان لوعي الجمهور السياسي لخط الامام ، وحضوره المداوم في الساحة السياسية ، ومراقبته لسير الثورة ، وتحرّكها على خط الامام ، وتضحيته في سبيل ذلك كله ، من اهم اسباب سلامة وبقاء هذه الثورة المباركة .

مكاسب ومتاعب الخط:

لقد كان وجود الخط في صلب الثورة من اسباب قوة الثورة وبقائها وتحشيد الطاقات المؤمنة حولها ، وكان من

اسباب سلامة الثورة . فلم يستطع المنافقون المتسلّلون الى الثورة من سرقة الثورة . وخط الامام هو الذي منح الثورة هذه المناعة والحصانة .

كما ان الخط كان مسببا لكل متاعب الثورة ومشاكلها . فلولا ان الثورة تتحرك على خط لم تكن موضعا لنقمة وغضب الاستكبار الشرقي والغربي ، ولم تكن الثورة .

ان خط الامام كان سبب نقمة وغضب اميركا وكان سببا لكل المشاكل التي سبّبتها اميركا للثورة الى هذا التاريخ . .

ولأمر ما ، نجد ان وجود خط الامام يخيف الاستكبار العالمي بهذه الصورة .

بعض مفردات خط الامام :

مفردات خط الامام كثيرة ، ولكل منها شرح وتفصيل لا مجال لذكره هنا ، وانما نشير هنا فقط الى بعض المفردات من خط الامام .

من مفردات خط الامام:

الثقة المطلقة بالله سبحانه وتعالى ، والاعتماد والثقة بالأمة في مسير الحركة ، والتعامل مع الأمة من موضع الثقة الكاملة ، والصدق والاستقلال الكامل عن الشرق والغرب ، واعتماد سياسة لا شرقية ولا غربية ، واعتماد الأصالة الاسلامية في التفكير والخط ، وعدم الركون الى الفكر الغربي والشرقي والاتجاهات الفكرية الدخيلة بينهما ، والاكتفاء الذاتي في المجال الاقتصادي ، والاعتماد على النفس في الانتاج ، واعتماد التقوى في المسؤولية في المراكز الحساسة في الدولة ، اكثر من الاختصاص العلمي ، دون ان يعني ذلك الغاء عنصر الاختصاص في المسؤوليات ، والمراكز التنفيذية والفنية ، وولاية الفقيه في شؤون الحياة ، وربط المجتمع بولاية الله تعالى ورسوله عن هذا الطريق ، ووصل ما انفصل عن هذه السلسلة الالهية في حياة الامة ، عن طريق ولاية الفقيه واعادة الأعراف والمصطلحات الاسلامية من جديد الى الحياة ، ومكافحة الأعراف والمصطلحات النابعة من الحضارات المادية ، وتزكية النفس ، ومكافحة الهوى ، والاهتمام بحضور الامة في الساحة السياسية ، واعطاء العبادات الاسلامية

مداليلها السياسية ، كما في صلاة الجمعة والعيدين والحج .

وايضا التركيز على التجمعات العبادية الاسلامية كاجتماعات دعاء كميل للتوجه الى الله تعالى ، وتوجيه الناس الى ذكر الله والعلاقة بالله تعالى ، واكتساح الحدود القومية ، والاقليمية ، والجغرافية ، التي رسمها الاستكبار العالمي هذه الفترة لتمزيق شمل المسلمين ، وتعميق حالة العداء والنفور والسخط تجاه قوى الاستكبار العالمي ، وخاصة اميركا ، وتزكية ، وتنمية العواطف والأحاسيس الاسلامية الى جانب الوعي والتعقل السياسي والفكري ، والترغيب في الشهادة ، والتذكير بقيمة الشهيد في حياة الامة ، واعادة فاعلية دور الدم في صنع التأريخ ، وتحطيم عروش الطغاة والجبابرة ، ومواجهة القضايا السياسية والجهادية بحسم وقاطعية ، دون تردد وضعف ، والنفس الطويل والهدم والبناء ، وتحويل انظار الناس واهتماماتهم من القضايا الجزئية الصغيرة الملهية ، الى الاهتمامات العالية الكبيرة ، كقضية القدس ، ومكافحة اسرائيل ، واسقاط النفوذ الاميركي والروسي في المنطقة ، وتحرير مصادر الثروة الاسلامية من نهب الاستكبار العالمي ، والايمان المطلق بأن العاقبة للمتقين ، والصبر والثبات

لبلوغ هذه العاقبة ، وتحويل اهتمامات الدولة في مجال العمران والخدمات ، من الطبقة المترفة الى الطبقات المحرومة ، والمسحوقة ، وتدريس الامة وتسليحها لحماية الثورة ، والاعتماد على دور الامة في حماية الثورة وامنها ، واللجوء الى الامة بعد الله تعالى ، عند كل ملمة ومشكلة ، وربط الامة بتراثها وموازينها الفكرية والحضارية وجذورها وابعادها التأريخية ، مثل اقامة مجالس عزاء الحسين عليه السلام ، وطرح القدوات الصالحة في حياة الناس من الأنبياء والأئمة عليهم السلام ، بدل الوجوه الدخيلة الغربية والشرقية التي تطحرها وسائل الاعلام التابعة للأنظمة العميلة في العالم الاسلامي .

القفزة النوعية:

ان القفزة النوعية التي حقّقتها الثورة في حياتنا الفكرية عظيمة . فقد نقلتنا الثورة من الايمان بقدرة القوتين الكبيرتين المطلقة ، واستحالة الانفلات من دائرة نفوذ هاتين القوتين بشكل من الأشكال الى مبدأ لا شرقية ولا غربية ، والتمرد على نفوذ الشرق والغرب ومكافحة نفوذ سلطان الاستكبار الغربي والشرقي في حياتنا ، والهوة بينهما هوة سحيقة عميقة .

ونقلتنا الثورة من مبدأ فصل الدين عن السياسة ، الذي كان يشكل المبدأ الرسمي في العالم الاسلامي ، والمتبني من قبل الانظمة واجهزة التعليم والتثقيف والاعلام الرسمية ، الى مبدأ ولاية الفقيه ، وطرح الفقه الاسلامي في ساحة الحكم والادارة والاقتصاد ، واعطاء الفقيه الولاية المطلقة على حياة الناس . ان الانتقال من مبدأ (الفصل بين الدين والسياسة) الى مبدأ (ولاية الفقيه) ، قفزة هائلة في حساب التطور ، والنضج الاجتماعي .

لقد حققت الثورة قفزات نوعية كبيرة باتجاه خط الاسلام الأصيل ، والصحيح ، خلال هذه الفترة ، والنقلة الفكرية والسياسية خلال هذه الفترة القصيرة من عمر الثورة كانت نقلة كبيرة ، اكبر من عمر الثورة الزمني بكثير .

مسؤوليتنا تجاه خط الثورة:

ان مسؤوليتنا تجاه خط الثورة بقدر قيمة واهمية هذا الخط في حياتنا السياسية ، وان حياة الخط وبقاءه وسلامته ، مرتبط في حياة الثورة وبقائها وسلامتها . ومسؤولية المحافظة على خط الثورة من التحريف

والتمييع ، على عهدة كل مسلم يشعر بقيمة هذا الخط واثره ودوره في حياة المسلمين اليوم .

ان علينا ان نبذل كل جهد للمحافظة على هذا الخط ، ونبذل دون هذا الخط الغالي والعزيز ، ونرسخ صلة الخط بالأمة وعلاقة الأمة بالخط ، وننشر الوعي بالخط في صفوف الأمة ، ونكافح كل محاولة تضليلية وتحريفية للخط .

ان علينا ان نعمق الايمان بهذا الخط في نفوس الناس ما امكننا ذلك ، ونربط الثورة ، والخط ، والامة ، والامام ببعض ، ونجعل منها قوة واحدة في مواجهة الاستكبار العالمي ـ بإذن الله تعالى ـ .

رسالة الثورة:

لكي يتحرك الانسان ، ويعمل بطلاقة وحرية ، لا بد ان يتخلص من كل قيد على رجليه ويديه ، يعرقل ويقيد حركته وعمله ، وكل ثقل على ظهره يثقله ، ويثقل حركته .

وما دامت هناك قيود على يديه وقدميه ، وثقل على ظهره ، او كتفه ، او رأسه ، فلا يستطيع الانسان ان

يتحرك بطلاقة وحرية .

وهذه السنّة الالهية تجري في العمل والتحرك الروحي والاجتماعي والسياسي ، كما تجري في الحركات العضلية تماما .

فلكي يتحرك الانسان في علاقته بالله ، وفي علاقته بالمجتمع ، ولكي يبدع ويتقدم ، ولكي تتفجر طاقاته ومواهبه ، لا بد ان يتحرر من القيود والأثقال .

ولكي يتمكن المستكبرون من الاستكبار في الأرض وفي حياة الناس ، واستضعاف عباد الله . . . لا بدّ لهم من تقييد الانسان ، واثقاله لعرقلة تحرّكه ، وابطاء سيره وعمله ، فلا يستطيع الانسان بعد ان يتحرك او يعمل بطلاقة ، ولا تتفتح مواهبه وكفاءاته ، ولا يستطيع ان يبدع او يتقدم او يبادر . ذلك ان الانسان ينطلق من التحرك والعمل ، عندما يتحرر من كل قيد وثقل . فاذا اثقلته الأثقال ، وقيّدته القيود ، تتعطل حركته ، وتجمد مواهبه ، ويتوقف عن الابداع والمبادرة والإقدام .

ولذلك فان تقييد الانسان واثقاله هو (افساد) للانسان ، وتحطيم لشخصه ، وتجميد لمواهبه وكفاءاته .

فاذا فسد الانسان تحوّل من شخصية مبدعة ، قوية ، مؤثرة ، كفوءة ، مبادرة ، شجاعة ، مخططة ، حرة ، خاضعة لله ، متمردة على الهوى والطاغوت . . . الى شخصية ضعيفة ، تابعة ، وامّعة ، وخائفة ، وقلقة ، وخاضعة للهوى والطاغوت ، ومقطوعة عن الله تعالى ، وهذه هي مظاهر الفساد في شخصية الانسان . فاذا فسدت شخصية الانسان يسهل انقياده ، ويأمن الطغاة جانبه ، ويسهل اخضاعه ، وتركيعه ، وتسييره ، وتسخيره لمطامع واهواء الطغاة والجبابرة .

وهذا هو (الاستضعاف) للانسان ، واستدراج الانسان الى (الضعف) ، وتفريغ الانسان من القيم الانسانية والمواهب التي رزقه الله تعالى .

الاصر والأغلال (العوائق :)

والأداة التي يستعملها المفسدون في الأرض ، لافساد الانسان ، هي (الاصر والأغلال) حسب تعبير القرآن الكريم . والإصر هو الثقل الذي يثقل حركة الانسان ، والأغلال هي القيود التي تعرقل تحرك الانسان .

فهناك نوعان من العوائق ، او هناك نوعان من ادوات الافساد ، يستعملها المفسدون لعرقلة تحرك الانسان وافساده ، نوع يثقل حركة الانسان ويبطئه ، وهو (الاصر) ، ونوع آخر يقيده عن الحركة ويعطل طاقاته وامكاناته ويقيّده بشكل مطلق ، وهو (الأغلال والقيود) .

والفرق بينهما ان الاغلال تصد الانسان عن التحرك مطلقا وتشل الحركة ، بينما الاصر يثقله ويبطىء تحرّكه .

فالجهل من (الأغلال) التي تغل الانسان ، وتعصب عينيه ، وتسلب سمعه ، وتعطّل فهمه واحساسه وادراكه ، واذا تعطل فهم الانسان وادراكه لم يتمكن من اي عمل او حركة ايجابية .

والهوى من (الأغلال) التي تغل الانسان وتعمي قلبه وبصيرته ، وتعطل قلبه وتسلبه البصيرة .

والخوف من (الأغلال) التي تشل حركة الانسان مرة واحدة ، وتسلبها كل قدرة على التحرك ، والعمل ، والمبادرة ، والاقدام .

واليأس من (الأغلال) التي تعطل روح الانسان ونسلبه الأمل ، واذا فقد الانسان الأمل في الحياة تحوّل الى ميت يتحرك بين الأحياء .

واللهـو من (الأغـلال) ، التي تلهي الانسـان عـن العمل الجاد ، وتصرفه عن الجد .

الى غـير ذلـك من الأغـلال والقيـود التي تعيق تحـرك الانسان في الحياة .

والترف والبذخ في الحياة الدنيا من الإصر ، الذي يثقل الانسان ويبطىء تحركه ، وعمله .

وكثرة الجدل والمراء من (الإصر) الذي يثقل الانسان ، اينما وجد المراء والجدل . واذا كره الله تعالى قوما ابتلاهم بالجدل والمراء .

والكسـل ، وايثار العـافيـة ، والـراحـة من (الاصـر) الذي يثقل حركة الانسان .

والأعراف والعادات والتقـاليد الجـاهلية من (الاصـر) الـذي يثقـل تحـرك الانسـان ، ويبـطىء نمـوه ، وتكـامله . وسـوء الظن في التعـامل مـع الآخرين من (الاصـر) الذي يثقـل تحرك الانسـان ونموه ، ويعتّم رؤيتـه تجاه الآخـرين ، ويعـرقل التعـاون ، والعمل الجمعي في سبيـل الله ، ويعـدّ النفـوس للخلافـات ، والمشـاكـل ، والمتـاعب ، التي تثقـل

كاهل العمل ، ونمو الانسان ، وتكامله وغير ذلك من الاصر .

وللمفسدين والمستكبرين وسائل ، وطرق خبيثة ، وماكرة كثيرة لزرع هذه الأغلال والآصار في حياة الناس ، ولهم في ذلك تجارب وخبرات ، وسنن ، يتوارثونها جيلاً عن جيل .

فالتضليل الاعلامي ، والتربية السيئة ، وإثارة الخلافات ، والنعرات ، والإرعاب ، والإرهاب ، وتوسيع وتقوية دوائر الأمن ، والمباحث ، والتفرقة الاقليمية ، والقومية ، واشاعة الفساد واللهو ، واشاعة الألعاب الرياضية واعطاءها دورا اساسيا في حياة الشباب ، وتحريف الفكر ، والثقافة ، وتقديم الثقافة المضللة المنحرفة الى الشباب ، ومضايقة الناس في ارزاقهم ، وحرمان الناس من العلم والثقافة المفيدة النافعة واقحام الأعراف والتقاليد والعادات الدخيلة والغريبة عنا الى مجتمعنا . . . وغير ذلك كثير من الوسائل والأساليب ، التي يستعملها المستكبرون في زرع الأغلال ، والآصار في حياتنا الاجتماعية ، والسياسية ، وفي تعطيل الانسان المسلم ، وتجميده وتفريغه من القيم ، والاهتمامات الرفيعة ، واخيراً افساده .

الاستضعاف:

وبذلك يفسد الانسان ، ويفرغ من كل محتواه الانساني ، ويفقد كل قيم الانسان ، ومواهبه .

يفقد الشجاعة والمبادرة .

ويفقد القدرة على الابداع ، والتخطيط .

ويفقد الصبر ، والثبات والصمود .

ويفقد الحياء ، والعفة .

ويفقد القدرة على التمرد على الطاغية ، والتحرك والثورة والجهاد .

ويفقد الأصالة ، والاستقلالية .

ويفقد الثقة بالله ، والاتكال على الله ، والاعتماد عليه .

ويفقد الاعتماد على النفس .

ويفقد قابلية النمو ، والنضج والتكامل .

ويفقد الفهم ، والادراك ، والوعي .

ويفقد الصلة بالله ، والاخلاص ، والأسى بالله ، والحب لله ، والبغض لله .

ويفقد القدرة على مكافحة الهوى .

ويصيبه الضعف ، والخور ، والجبن ، وبلادة التفكير والاحساس ، والجهل ، والاتكالية ، والهزيمة النفسية ،

ويفقد الصلة بالله ، والاخلاص ، والأسى بالله ، والحب لله ، والبغض لله .

ويفقد القدرة على مكافحة الهوى .

ويصيبه الضعف ، والخور ، والجبن ، وبلادة التفكير والاحساس ، والجهل ، والاتكالية ، والهزيمة النفسية ،

فان افراغ الانسان من قيمه ، واهتماماته ، وتعطيل طاقاته ، ومواهبه ، واعدام كفاءاته ، وقدراته التي رزقه الله تعالى افساد له .

يقول تعالى :

﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ،

ويشهد الله على ما في قلبه ، وهو ألد الخصام ، واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد﴾ البقرة ٢٠٥ .

فالافساد سعي في الأرض لإهلاك الحرث والنسل ، ويقول تعالى (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) البقرة ٦٠ .

فالفساد ان يعثو الانسان في الأرض ، ويبيد ويقطع ما اوصله الله ، ويفسد ما رزق الله الانسان .

واذا افسد الانسان ، ضعف ، واذا ضعف ، سهل الاستيلاء عليه ، والاستكبار عليه . والقرآن الكريم يعبر عن افساد الانسان بـ « الاستضعاف » اقرأوا الآية الرابعة من سورة القصص ﴿ان فرعون علا في الارض ، وجعل اهلها شِيَعا ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح ابناءهم ، ويستحي نساءهم ، انه كان من المفسدين﴾ القصص ٤ .

ان فرعون لكي يعلو في الارض ، ويستكبر ، لا بد ان يفرق الناس ، ويجعلهم شيعا ، ويستضعف منهم طائفة ، ويذبح طائفة اخرى وهذا هو عمل المفسدين (انه كان من المفسدين) ، ولذلك قلنا ان الانسان اذا فسد ضعف ، واذا ضعف سهل الاستعلاء ، والاستكبار عليه .

والمفسدون هم الذين يعملون لاستدراج الناس الى

الفساد ، والضعف واستضعاف الناس لاستعبادهم ، والتحكم عليهم ، وسلب ارادتهم ، وحريتهم ، وكرامتهم .

رسالة رسول الله (ص) في حياة الناس:

والرسالة التي بعث الله بها النبي (ص) ، هي لإزالة هذه الأغلال عن ايدي الناس وارجلهم ، ورفع الأثقال والآصار عن اكتافهم ، وظهورهم .

﴿ الذين يتبعون النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾. (الأعراف / ١٥٧)

وهذا الدور هو الدور الأساسي لرسول الله (ص) ولكل الأنبياء والمرسلين .

وهذه المهمة هي واحدة من ثلاث مهمات - تعدّدها الآية الكريمة - في رسالة رسول الله (ص) :

١) ـ التوجيه : ﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر﴾.

٢) ـ التشريع : ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾

٣) ـ التحرير : ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ .

فتحرير الانسان من الأغلال ، والأصار من اهم اعمال الأنبياء عليهم السلام . ومن اهم بنود رسالتهم ، ومسؤ ولياتهم الالهية .

واذا تحرر الانسان من الأغلال ، والأصار لم يستطع طاغية ، ولا جبار ان يستعلي او يستكبر عليه ، ولا سبيل الى اذلاله وتركيعه ، وانقياده

وعندما تزول هذه العوائق (الأغلال والأصار) عن حياة الانسان ، ينمو الانسان نموا سويا ، وياخذ حظه من النضج ، والكمال بصورة طبيعية ، وتتفتح مواهبه ، وكفاءاته ، وقدراته ، بصورة طبيعية ، وبيسر ، وينزع الى الله تعالى نزوعا فطريا ، ويتجه الى الله تعالى في حركة تكاملية .

مبدأ الجهاد:

ومن هنا ينبثق (الجهاد) في الاسلام ، فان هؤلاء المفسدين المستكبرين في النتيجة هم الذين يصدون الناس عن التحرك ، والتكامل والنمو ، ويعيقون حركة الانسان الى الكمال عن طريق الافساد ، ووضع الاغلال والأصار .

والقضاء على هؤلاء المفسدين هو السبيل لانقاذ الانسان ، وتحريره ، وذلك هو لباب مبدأ الجهاد في التشريع الاسلامي .

رسالة الثورة الاسلامية:

ونعود ـ بعد هذه الجولة من مفاهيم وافكار الثورة ـ الى رسالة الثورة الاسلامية .

واجهت الثورة امامها ركاما هائلا من الأغلال والأصار في الفكر ، والثقافة والتربية والأخلاق والأعراف ، والتقاليد والمصطلحات ، والحضارة ، ودوائر الدولة ، والمدارس والمعاهد ، والصحافة ، والاعلام . . . وفي كل مجالات الحياة .

وقد تكوّن هذا الركام من العوائق خلال خمسين سنة من حكم اسرة بهلوي في ايران ، كما تراكم في سائر اقطار العالم الاسلامي خلال فترة الركود ، والسبات الطويلة في العالم الاسلامي .

وكان لا بد للثورة ان تؤدي رسالتها دورا في إزالة هذه الأصار والأغلال ، عن الانسان المسلم في ايران ، وفي كل العالم الاسلامي .

ولم يكن دور الانسان المسلم خارج ايران دورا ثانويا للثورة ، بالنسبة للانسان المسلم في ايران ، فليس للثورة حدود قومية او اقليمية ، او سياسية ، وكان لا بدّ للثورة ان تمارس رسالتها في تحرير الانسان المسلم في كل بقاع العالم الاسلامي .

تصدير الثورة:

وكان لا بد للثورة ان تجتاز الحدود الدولية المألوفة ، وتتخطى العقبات والحواجز ، وميادين الألغام ، لتفتح طريقها الى الأقاليم المتعطشة الى الثورة من العالم الاسلامي ، ولتمارس رسالتها في تحرير الانسان المسلم وتخليصه .

ولذلك فقد كان تصدير الثورة من اولى اهتمامات وشعارات الثورة ، وقد حمله الامام نفسه ، ونادى به ، منذ الأيام الاولى للثورة .

ان رسالة هذه الثورة رسالة اسلامية وانسانية عامة ، لا تحددها منطقة ولا اقليم ، ولا لغة ، ولا عرق ، ولا طائفة ، ولا مذهب .

وما دام في المنطقة الاسلامية انسان مسلم يرزح تحت الأغلال ، والقيود ، فان الثورة مدينة اليه ، ومسؤولة تجاهه ، في اقصى الشرق كان هذا الانسان ، ام في اقصى الغرب ، ولا تُبرّأ ذمة الثورة الا عندما تكسر كل القيود ، والأغلال عن ايدي كل المسلمين .

ان التصدير للثورة كالهواء للانسان ، يموت اذا انقطع عنه . فان من سنن الله تعالى من الثورات والحركات : ان الثورة لا تقف في مكانها ، وعند حد معين ، فإما ان تتقدم ، وتنمو ، واما ان تتراجع وتذبل ولذلك فان الثورة الاسلامية اذا لم تتقدم وتكتسح من امامها الحواجز ، والسدود فانها تذبل وتتأخر .

فليست مسألة التصدير ، والتوسع للثورة مسألة ترفيّة من مسائل الثورة ، وانما هي من الصميم من حاجات

الثورة وضروراتها ، وبدونها لم تحقق الثورة اهدافها .

الطبيعة الاقتحامية للثورة

اننا نعلم جيدا ، ان القوى الاستكبارية لم تترك الثورة تتقدم ، وتتوسع على حساب مصالحها ، من دون مشاكل ومتاعب . وانها تستعمل كل الوسائل الممكنة ، للحيلولة دون تقدم الثورة ، وتوسّعها .

فلا بد ان تمتلك الثورة الشجاعة الكافية لاقتحام الحواجز ، واكتساح العوائق السياسية .

ان الثورة تصطدم ـ بالتأكيد ـ بكثير من الأعراف السياسية ، والدولية . واعداء الاسلام سوف يرصدون لمواجهة الزحف الاسلامي كل امكاناتهم ، ويتناسون كل مشاكلهم وخلافاتهم ، وسوف تواجه الثورة جبالا من المشاكل امامها ، ولكن شيئا من ذلك لا يجوز ان يعيقها ، وان الثورة لا بدّ ان تمتد وتتجاوز المشاكل ، ولا يجوز ان تتردد الثورة لحظة واحدة في ان تتجاوز الحدود وتمتد الى ما وراء الحدود .

(وطبعا نقصد بذلك ، التوسّع ، والامتداد الفكري ، لا العسكري ، وسوف نوضح هذه الحقيقة فيما بعد ، وانما

استعجلنا هنا في هذا الايضاح ، لئلا يؤدي الى الالتباس) وان مما لا يجوز في ثورة اسلامية ذات اهداف عالمية واسعة ، ان تقف خلف الحدود المقفلة خجلى ، مترددة ، كما لو ان هيئة دبلوماسية تريد ان تدخل بلدا اجنبيا لغرض المفاوضات السياسية .

ان الثورة لا تحتاج الى اجازة مرور واجتياز ، وليس في الأرض بلد غريب عليها ، ولا ناس غرباء عنها . وبهذه الروحية الحركية الثورية ، يجب ان تعمل الثورة وتكتسح من امامها الحواجز ، والعوائق ، وتذلل العقبات لتصل الى كل الطبقات المستضعفة ، والمحرومة من العالم الاسلامي ، كما يصل الماء الى اراضي صالحة غنية وعطشى .

هذه الحالة الاقتحامية هي جزء لا يتجزأ من الثورة ، ومن دونها لا تستطيع الثورة ان تحقق غرضا ، او تؤدي دورا ثوريا اسلاميا في الأرض .

الجمهورية الاسلامية دولة وثورة:

ان الجمهورية الاسلامية دولة ، وثورة ، ولكل منهما اعرافه ، وحدوده ، وقانونه ، واصوله . والثورة هي

الأساس ، والدولة هي الفرع ، وللدولة حدودها ، ودبلوماسيتها ، وسياستها واصدقاؤها ، واعداؤها ، وللثورة متطلّباتها ، ودورها ، ورسالتها الاسلامية العالمية .

وليس بالضرورة ان تتطابق دائما دبلوماسية الدولة ، والثورة ، واحكامها ، وحدودهما ، وقد لا تستطيع الدولة ان تفرض دبلوماسيتها على الثورة ، وتحرّكها . فالهيئات التي تذهب للتفاوض مع حكام السعودية قبل الحج من قبل الجمهورية الاسلامية ، لا تستطيع ان تخضع لشروط السعودية الرسمية . وهذه الشروط قد تنسجم مع الظروف الرسمية للدولتين ، ومتطلبات العلاقات الرسمية بين الجمهورية الاسلامية والحكومة السعودية ، ولكنها لا تنسجم مع متطلبات ، وظروف الثورة الاسلامية .

ان الثورة ، من خلال ابنائها الحجاج ، تريد ان تتحرك في صفوف الحجاج في مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وتريد ان تصرخ بهم ، وتهتف ، وتفجر سخط وغضب الأمة ضد اعداء المسلمين ، وضد القوى الاستكبارية وعملائها ، وضد الصهيونية ، والصليبية ، وتريد ان تهتف بموت اميركا ، واسرائيل وروسيا ، واذرعها في المنطقة . وتريد ان تنطلق في صفوف الحجاج من كل

العالم الاسلامي لتنشر الوعي والحركة ، وتفجّر الطاقات الكامنة في العالم الاسلامي ، وتفضح القوى الاستكبارية وامتداداتها وعملاءها في المنطقة الاسلامية ، ولتبعث المسلمين من جديد ، ولتفجر الأرض براكين وحمماً تحت عروش وكراسي الطغاة والظالمين . . . والسعودية تريد حجاً وديعاً ، هادئاً ، من دون مشاكل ولا مزعجات ، وتعتقد ان الحج شيء ، والسياسة شيء آخر ، والايرانيون يأتون الى الحرمين الشريفين برسالة سياسية مرعبة وليس برسالة الحج الشريفة ، الآمنة الوديعة .

ان السعودية قد لا تفهم رسالة الحج ، وقد لا تفهم رسالة الثوزة الاسلامية ، وقد تفهمهما بتجاهل ، لأن هذا الحج يشوش عليها الجو والاستقرار ، فتطلب من المسؤولين الايرانيين الالتزام بالهدوء والنظام بالحج ، كما لو كان شرطي المرور يطلب من سائقي السيارات الالتزام بالعلامات الضوئية في مقاطع الطرق لسلامة المرور .

ولكن المسؤولين في الجمهورية الاسلامية يفهمون الثورة ، ويفهمون رسالة الحج ، وليس بوسعهم تجاهل شيء منهما ، وهم يأتون للمفاوضة مع حكام السعودية دون ان تخولهم الثورة التنازل عن شيء من حقوقها

والتزاماتها . وان الحج حقل الثورة الخصيب ، والتفريط بهذا الحقل الخصيب ـ لئلا يؤدي الى ازعاج الحكام ، والمسؤولين في السعودية ـ يشبه تماما . كما لو ان الثورة اوقعت مسيرة مليونية في شوارع المدينة ، لئلا يغضب شرطة المرور عند تخطي الاشارات الضوئية في مقاطع الطرق .

وان مراعات انظمة المرور حق لا ننكره ، ولكن الأولوية لحقوق الثورة ، فاذا تعرضت انظمة المرور ، وحقوق الثورة ، فالأولوية لحقوق الثورة .

وليس معنى ذلك ان الثورة تريد الاخلال بأمن الحج ، والاخلال بالظروف العبادية للحج ، ومضايقة الناس من اداء مناسكهم ، وممارسة اعمالهم العبادية ، او ايجاد متاعب للنظام السعودي في ادارة الموسم .

فهذا شيء لا يسمح به احد ، ولا تسمح به الثورة نفسها ، ولا يسمح به الامام الذي يقود الدولة والثورة معا ، وانما معنى ذلك انسماح للثورة بأن تصرخ وتهتف فقط في الموسم ، وفي الحرمين الشريفين ، لإيقاظ النائمين من المسلمين ، وفضح الاستكبار العالمي . . . وهذا حق طبيعي للثورة ، وفي صلب رسالة الحج ، والثورة لا تريد

اكثر من ذلك ، والمسؤولون في السعودية يضايقون الثورة الاسلامية في هذا الحق الطبيعي .

اجل ، ان رسالة الثورة تتطلب المبادرات السياسية ، واقتحام الحدود ، والأعراف ، والحواجز ، والعوائق ، وان تغتنم اية فرصة لتؤدي رسالتها الى المسلمين جميعا .

ولا بد ان تصطدم خلال هذه المسيرة الشاقة بالعقبات ، والمتاعب ، ولا يمكن ان يخلو طريق الثورة من هذه العقبات والعوائق .

ولا بد ان تكون الثورة مقدامة ، وجريئة في اجتياز هذه العقبات ، ولا تسمح لنفسها بالتردد والتوقف .

دور المبادرة :

لا بد ان تأخذ الثورة دور المبادرة في مواجهة اعدائها ، ولا تقتصر على الأدوار الدفاعية فقط ، فان الأدوار الدفاعية تتسم بالضعف عادة ، ويقتصر مفعولها على صد الهجوم ، ولا يحقق تقدما وتوسعا .

ان الثورة الاسلامية لكي تحقق اهدافها ، لا بدّ ان تتسلم دور المبادرة في التصدي لأعداء الثورة ، واقتحام

مراكزهم وبيوتهم ومعاملهم .

ان للكفر ، وللاستكبار العالمي في بلادنا معاقل ، وحصونا ، ومراكز للرصد والتجسس ، ومعاهد لنشر الأفكار المنحرفة ، ورؤوس اموال ضخمة ، تؤمّن نفقات هذه المؤسسات ، ورموزا وشخصيات تحرك هذه المؤسسات باتجاه خدمة مصالح الاستكبار العالمي ، ووسائل اعلامية ضخمة توجه افعالها ، وتروّض لها الرأي العام .

وهذه القواعد والمراكز والمعاقل لا تزال قائمة ، وعلى الثورة الاسلامية ان تبادر الى اقتحام هذه المراكز ، وتستلم دور المبادرة في ذلك ، واذا اصرّت الثورة ان تلتزم بدور الدفاع ، فان وجود هذه المعاقل ، والمراكز في الأرض الاسلامية عدوان صارخ على الأرض الاسلامية ، والثورة الاسلامية ، ولا بد ان تتحرك الثورة تجاهها بقوة ، وحسم ، ومن دون تردد ، في الحدود التي تأمر بها الشريعة الاسلامية .

الاستقرار السياسي:

ان من اهم واجبات الثورة الاسلامية في هذه الفترة ،

الاخلال فيما تسمّيه قوى الاستكبار العالمي بـ « الاستقرار السياسي في المنطقة » ، وتشويش الأجواء السياسية على الاستكبار العالمي ، وامتداداته في المنطقة الاسلامية .

ان الاستكبار العالمي يصطلح على استقرار مصالحه السياسية بـ « الاستقرار السياسي » ، وهذا (الاستقرار) في الحقيقة ، استقرار لمصالح الاستكبار العالمي ، واستقرار لامتداداته وعملائه ، واستقرار للاستمرار في نهب خيرات المنطقة بأمان وسلام ، وليس (استقرارا) للناس في المنطقة ، واستقرارا للحالة الاقتصادية ، والسياسية في المنطقة الاسلامية ، ان الذي يهم هؤلاء من (الاستقرار السياسي) استقرارهم ، هم ، لا استقرارنا نحن ، واستقرار مصالحهم لا استقرار مصالحنا .

ان الاستقرار السياسي الذي تدافع عنه اميركا ، ويهم اميركا شيء من هذا القبيل ، ان اميركا اذ تهتم باستقرار منطقة الخليج ، فانها تهتم باستقرار مصالحها السياسية والنفطية في هذه المنطقة ، وباستمرار النهب ، واستنزاف الثروة البترولية في هذه المنطقة الحساسة ، بصورة مستقرة ، وبدون مشاكل ، ومزعجات ومتاعب للادارة الاميركية

فاذا انفلتت المنطقة من القبضة الأميركية ، فلا تسقط

حرمة الاستقرار السياسي لدى اميركا في تلك المنطقة فقط ، وانما تعمل اميركا المستحيل لاختلاق المشاكل والمتاعب ، والاخلال بالأمن والاستقرار ، كما حدث ذلك للجمهورية الاسلامية .

ان هذا (الاستقرار السياسي) في المنطقة ، والذي يجمي مصالح الاستكبار العالمي ، والذي يعيش الاستكبار العالمي في ظلاله في ستر وامان . . هو مما يجب على الثورة الاسلامية ان تقتحمه ، وتشوشه .

الصفة الايجابية لتصدير الثورة:

و (الاقتحام) و (والتشويش) و (الاخلال) ، بالاستقرار السياسي في المنطقة . . . كل ذلك يأتي بمفهومه الاسلامي الايجابي البنّاء ، وليس بالمفهوم السلبي التخريبي .

فلسنا نقصد بذلك ، القيام بأعمال تخريبية ، او الاحتلال والغزو العسكري ، وانما نقصد به ان ننشر في المنطقة الاسلامية الوعي الثوري والحركي ، ونعمل لايقاظ هذه الأمة الراقدة ، من سباتها الطويل ، وننشر الفضائح السياسية للاستكبار العالمي ونبعث الحياة ، والحركة في

الامة ، ونقطع ايدي سماسرة ، وعملاء ، واجهزة الاستكبار العالمي عن منابع الثروة الطبيعية في بلادنا .

ان هذه السلسلة من الأعمال الايجابية البناءة ، تؤدي الى سلب الاستقرار عن المصالح التابعة للاستكبار العالمي في المنطقة الاسلامية ، وزعزعة قواعدهم السياسية .

وهذا هو افضل وجوه تصدير الثورة وأسلمها . ان الوعي هو الجسر الذي تتحرك عليه الثورة الاسلامية الى العالم الاسلامي . ونحن واثقون من سلامة هذا الجسر ، وقدرته على نقل وتصدير كل اوضاع الثورة ، وظروفها وشروطها ومكاسبها .

ان تصدير الثورة يتلخص في كلمة واحدة وهي : ان نقول لكل الطبقات المحرومة والمستضعفة من العالم الاسلامي ، ان الذي جرى في ايران ، يمكن ان يجري في اي منطقة اخرى من المناطق المحرومة والمضطهدة من العالم الاسلامي .

وان الذي جرى في ايران ، لم يتطلب من الأمة غير عزيمة ، وإرادة لا تلين ، ووعي وفهم وتضحية وحركة ، وقد اودع الله تعالى هذه الكنوز في كل الامم والشعوب على نحو سواء .

وان الأمة المسلمة في ايران ، عندما اسقطت اكبر معاقل اميركا في المنطقة ، لم تكن تملك غير صدر عامر بالايمان ، وقبضات ترتفع في وجوه الظالمين ، وصرخات تهتف بسقوط الظالمين ، وحفنة من الأحجار على ارصفة الشوارع ترمي بها الدبابات ، والمجنزرات ، وتواجه بها دوي المدافع في الشوارع .

ان رسالة الثورة في العالم الاسلامي هي كسر حاجز الخوف . فليست الأسلحة الفتاكة التي يملكها المستكبرون والطغاة هي التي تكبل الناس عن الحركة ، والتمرد ، والثورة ، وانما (الخوف) و (الجبن) و (وايثار العافية ، والراحة) و (وحب الدنيا) ، والفرار من الموت الشجاع والركون الى الموت الذليل .

ورسالة الثورة ، التي تصدرها للعالم الاسلامي هي كسر حاجز الخوف ، وانتزاع حب الدنيا من النفوس الضعيفة ، وفك الأغلال عن الأيدي ، وزرع الشجاعة والإقدام في النفوس ، وتفجير الطاقات الكامنة في الامة .

تفجير الطاقات:

وان الله تعالى قد اودع في الانسان كنوزا من

الطاقات ، والقدرات ، والكفاءات والشجاعة والاقدام والصلابة والثبات ، والصبر ، والوعي والادراك والعاطفة والعقل . . . كما اودع في الطبيعة كنوزا من الثروة الطبيعية ، وان ذخائر المواهب الالهية في الانسان اعظم بكثير من ذخائر الثروات الالهية في الطبيعة .

وجريمة الاستكبار العالمي ليست فقط في نهب ثرواتنا الطبيعية ، واستنزافها وانما فيما هو أهم ، من نهب واستنزاف الثروات الطبيعية ، ان الاستكبار العالمي تمكّن خلال هذه الفترة من سيطرته ، ونفوذه على العالم الاسلامي ، ان يدفن هذه المواهب الالهية في الانسان المسلم ، ويقضي عليها وينتزعها منه ، ويحول دون ظهورها وبروزها ، وان هذه السرقة اكبر من سرقة آبار النفط ومعادن الحديد ، والنحاس انها سرقة الانسان ، وجريمة سرقة الانسان اعظم من جريمة سرقة الحديد والنفط ، والنحاس .

ان الاستكبار العالمي استطاع ان يدفن هذه المواهب في الانسان المسلم ، ويسلب اعتماده على الله ، وعلى نفسه ، ويحوّله الى كائن يتّكل على الغرب في كل شيء ، حتى في لغته ، وتقاليده ، واعرافه وبنظم بيته ، وخياطة ملابسه .

ورسالة الثورة اعادة الثقة ـ الى الانسان المسلم ـ بالله تعالى وبنفسه ، واعادة الحيوية اليه ، وتفجير الطاقات الكامنة في عقله وقلبه ، وبعث الانسان المسلم من جديد الى صلب الحياة ، ليمارس دوره خليفة لله تعالى ، واماما ، وقائدا على وجه الأرض ، وليس في هذه الرسالة سلب او تخريب او إخلال بالمعنى السلبي ، الذي يشيعه الاعلام المشبوه في بلادنا .

علاقة الثورة الإسلامية المعاصرة بالأمة

بعد دراسة واعيه للثورة المعاصرة في ايران يتضح لنا ان علاقه الثورة بالأمة - بعد الصله بالله تعالى - هي من اهم مصادر القوة للثورة الاسلامية ، فان جماهير الأمة هي القاعدة الصلبه التي تنطلق منها الثورة ، والقلعة الحصينة التي تلجأ اليها ، والرصيد الذي تنهض به ، والوقود والمحرك الذي تتحرك به .

واذا امّنت الثورة وجود الأمة الى جانبها فلا يضرها شيء من مخططات ومؤامرات الاستكبار العالمي ، فأن الأمة تؤمن للثورة القوة ، والحركيه ، والمقاومه والاستمرارية ، والوقاية ، والقدرة على تجاوز العقبات ، والصلابة ، والثبات ، والصبر اللازم لها .

ولقد استطاعت الثورة ان تحمي نفسها بجماهيرها المؤمنه في احلك الظروف السياسيه واصعبها واشقها ، ولم تتمكن اجهزة الرصد والاستخبارات ، والقوة العسكرية

الضاربه التابعه للأستكبار العالمي ان تنال من الثورة شيئا خلال هذه الفترة الصعبة من عمرها رغم ان الاستكبار العالمي لم يدخر جهدا او مكرا لضربها خلال هذه الفترة واستعمل كل الوسائل الممكنه للقضاء عليها .

وبعد تأييد الله تعالى ودعمه لهذه الثورة . . . لا شك ان وقوف الأمة الى جانبها ، كان من اهم اسباب كفاءتها على تجاوز العقبات الداخلية والخارجيه .

وكان من خصائص قيادة الأمام الخميني حفظه الله ، ثقته الكبيرة بالأمة . لقد كان الأمام يضع في الأمة ثقه مطلقه ، لا يساوره شك في كفاءتها ودعمها وتضحيتها ، كما كانت الأمة تضع في الأمام ثقه مطلقة ، واستعدادا للطاعة والتضحيه لا حدّ لها .

وهذا التلاحم في الثقة بين القاعدة والقيادة من اروع نماذج تبادل الثقه والحب بين القاعدة والقيادة في تاريخ الاسلام .

ولقد ثبتت الأمه على وفائها والتزامها للثورة رغم العقبات الصعبه التي واجهتها ، ورغم التضحيات الكبيرة التي قدمتها الأمة لها ، ورغم المضايقات المادية والاقتصاديه التي واجهتها قبل الحرب وفي سنى الحرب . . . رغم ذلك كله لم تفتر ثقه الأمة بالثورة وقائدها ، واستعدادها

للتضحيه ، ولا تزال الصرخات المدويه التي كانت تعصف بوجه الاستكبار الامريكي في الأيام الأولى لها ، تتردد في فضاء الثورة بنفس القدرة رغم عشرات الآلاف من الشهداء والمجروحين والاسرى

ان هذه الثورة كشفت عن مصدر كبير من مصادر القوة في الحياة السياسيه والاجتماعية ، لم يكن يعرفها الغرب ، ونستطيع ان نقول ان اكتشاف القدرة الحركية والثورية للمجتمع الاسلامي من اهم مكاسب هذه الثورة .

اللعبة الدولية على الساحة الاسلامية:

وانما نقول ان هذه القوة ، الواعيه والمحركه والموجهه ، والبناءة لم تكن قوة معروفه على الساحه الاسلامية من قبل الثورة ، لأن الاتجاه العام كان يحكم بان القوة المؤثرة على الساحه السياسيه هي قوة الاستكبار العالمي ، شرقيه او غربيه ، او مرتبطه باحداهما ، وليس في مقدرة ايه قوة اجتماعية ان تحدث تغيرا في موازين السياسه في المنطقة الاسلامية . ان المنافسين الكبيرين على الساحه السياسيه هما اللذان يتداولان الأدوار السياسية في المنطقة ، واما المجتمع الاسلامي فلا يعدو ان يكون ساحه للعبه

الدولية ، وليس للمجتمع الاسلامي اي دور ايجابي يذكر او اية مبادرة سياسيه في هذا المجال .

فهـا هي الثورات والمؤامرات العسكريه في آسيا وافريقيا تجري في ساحتنا الاسلامية دون علم او وعي منا ، وبتخطيط وتوجيه من قبل الاستكبار الشرقي والغربي ، ومن وراء الابواب المقفلة ، ولا ننتبه نحن الاّ على المارشات العسكرية التي تذاع من المذياع صبيحه يوم المؤامرة ، تتبعها بيانات عسكرية متعاقبة وبالنبرة العسكرية المعهودة في بلادنا ، وتقترن بالاحكام العرفيه ، وباغلاق المطارات ، ويظهر على الساحه وجه جديد ووزارات جديده ، واداره جديده ، ومن وراء كل ذلك عماله جديده وارتباط جديد .

وقد تعوّدت امتنا ان تنظر الى الساحه السياسيه في بلادنا مسرحا للّعبه الدوليه التي تتناوب عليها القوتان الكبريان في الأرض، وليس لها الاّ دور المتفرج على هذه الساحة .

هذه هي خلاصة الرؤية البائسة والقاتمه التي كان يحملها احيانا رجال الفكر والسياسه لدينا عن قيمة المجتمع والانسان المسلم المعاصر ، ودوره في الساحة السياسية .

لا شك ان الثورة الاسلامية غيّرت النظرة تجاه قيمة المجتمع والانسان المسلم ودوره في الحياة السياسية ، وابرزت الدور الفاعل والمؤثر لهذا الانسان وللمجتمع

الاسلامي في الساحة ، بعد غياب طويل وركود وسبات عما يجري حوله من احداث .

لقد عاد الانسان المسلم وعادت الأمه الى الساحه من جديد ، بفاعليه وحركيه متفوقه ، ومنقطعة النظير .

ولا بد ان نقف هنا وقفه تقييميّه قصيره عند هذه القوة الكبيرة التي برزت على الساحه السياسيه منذ الثورة الاسلامية ، وندرس اهميتها وعمقها وقيمتها .

الاعماق الحضارية للمجتمع:

للمجتمع ظاهر وباطن ، وسطح وعمق ، والذي يراه الناس ويلمسونه من المجتمع في الغالب هو السطح الظاهر منه ، كما ان الدراسات الغربية والشرقيه للمجتمع في الغالب لا تزيد على تناول التفاعلات التي تحدث في السطح الظاهر منه ، والدراسات السياسية لا تزيد غالبا على تناول التيارات السياسيه التي تجري على سطح المجتمع .

الاّ ان التفاعلات والتيارات التي تحدث وتجري على السطح لا تشكل كل ابعاد المجتمع وتبقى له ابعاد

عميقه ، خافيه عن عيون الناس . ان المجتمع يشبه البحر يكسوه الزبد الذي لا بقاء له ، واذا القى الانسان اليه النظر من بعيد لا يرى الاّ هذا الزبد الذي يكسو البحر ، والذي ليس فيه نفع ولا خير ، الاّ انّ هذا الزبد لا يشكل الاّ السطح الظاهر من البحر ، اما عمق البحر فهو شيء آخر يختلف عن هذا الزبد ، وفي عمق البحر يجد الانسان كل الخيرات والبركات التي اودعها الله تعالى في البحار من الاسماك والاصداف والمرجان . . .

وكذلك المجتمع له ظاهر وباطن وسطح وعمق ، اما السطح الظاهر من المجتمع فيشكل الزبد الطافح الزائل ، واما عمق المجتمع ؟ ففيه كلما اودع الله من خير وبركه .

والذين ينظرون الى الحياة الاجتماعية بنظرة قاتمه وبائسة لا يرون الاّ هذا القشر الظاهر من المجتمع ، والذين رزقهم الله تعالى بصيره نافذه ، تنفذ الى عمق المجتمع ، وتخترق السطح الفوقي منه الى الكنوز الفطريه التي اودعها الله تعالى فيه . . . اولئك ينظرون الى المجتمع بثقه واطمئنان ويقيمون دوره ودور الانسان المسلم في التاريخ والحياة بشكل آخر ملؤه الأمل والثقة .

علم طبقات المجتمع (جيولوجيا المجتمع:

إن الـذين ينـظرون الى السـطح ، قـد لا يـرون في العـواصم والحواضـر الاسـلامية في العـالم الاسـلامي ـ الا مـظاهر الفسـاد والخـلاعـه وعلب الليـل وصـالات الـرقص والصحافه المبتـذله والافلام الجنسيه الصارخة ، والتجـاره بالأعراض والضمائر ، واللعب السياسيه المفضوحه ، والربا والغش والكذب . . .

ولكن هـل هذا هـو كل مـا في مجتمعنا ؟ كـلاّ ان نظرة ثاقبه للمجتمع وممارسه للطبقات غير الظاهره بالنظرة الاولى من المجتمـع تكشف لنا عن اعمـاق مخبوءة وكنـوز وثـروات وخيرات واصالات وقيم وقدرات وكفاءات وفضائل انسـانيه لم تكن ظـاهرة للعـين من الوهله الاولى ، فيمتـلىء الانسـان العامل في سبيل الله ثقـه ورجاء وامـلا من المجتمع وقـدراتـه وكفاءاته ، تماما كـما لو القى احـدنا النـظر الىصحراءقـاحل غير ذي زرع فيصيبه اليـأس ويلقى آخر ممن رزقـه الله نظره اختصـاص وفهم وقدره عـلى الاكتشـاف بنفس النـظرة عـلى تلك الصحـراء فيكتشف في نفس الارض القـاحله كنـوزا من الحديد والنحاس والذهب والنفط فيمتلىء املا وثقه .

ان اختلاف التصورات عن المجتمع الاسلامي بين طرفي اليأس والامل ينبثق من اختلاف الرؤية .

ان عشرات الالوف الذين ضحوا بأنفسهم في خضم هذه الثورة من الاشبال والشباب والكهول والشيوخ ، هم من هذا المجتمع بالذات .

وانّ الصبي الذي لم يتجاوز عمره التاسعه والذي شدّ على ظهره حزاما ناسفا والقى بنفسه تحت دبابه العدو من هذا المجتمع بالذات .

هذا الصبي الذي دخل تاريخ الجهاد والتضحيه من اوسع الابواب وقال عنه الامام حفظه الله : (قائدنا ذلك الصبي الذي القى بنفسه تحت دبابه العدو) .

وان هذه الجماهير المليونيه الغاضبه على امريكا وروسيا من هذه الامة .

وان هذه الامة الصابره تحت وطأة الحصار الاقتصادي والحرب من هذه الامة .

وان هذه الامّهات والزوجات اللاتي يتحمّلن الثكل والترمّل بكل شجاعة ويزغردن على جنائز ابنائهنّ وازواجهنّ من هذه الامة .

وان كل هذا الوفاء والتضحية والصدق والاخلاص والايمان والشجاعة والاحترام والقدره على تحدي الاستكبار العالمي ومضايقاته هي من هذه الامة .

وان كل هذا الصبر والثبات والاستقامه من هذه الامة .

وان كل هذه الكفاءة العلمية في الاعتماد على الذات في الصناعه وتسيير عجلاتها والمكائن التي منعت امريكا عنها قطع الغيار وذوي الاختصاص بعد الثورة من هذه الامة .

وان القدرة على تجاوز السلبيات والفساد الاداري والاخلاقي والسياسي الذي تراكم خلال خمسين سنة من حكم بهلوي خلال فترة قصيرة من هذه الامة .

ان امة تملك كل هذه القابليات وتختزن في اعماقها كل هذه الكفاءات والقدرات لهي امة غنيه معطاءة ومباركه ، وليست بالامة العقيمة والفقيرة .

ان النظرة القاتمه التي يحملها بعض الناس عن المجتمع الاسلامي نظره ضحله وسطحيه بالتأكيد ، لم تتجاوز السطح الظاهر من المجتمع ، ولم تتمكن من ان تنفذ الى الاعماق الغنيه والمباركه من المجتمع . ان هذه

النظره السطحيه لم تلامس الاّ السطح القاحل الجدب ، ولم تنفذ الى الكنوز والثروات الجوفيه فى داخل المجتمع .

ولذلك تتسم هذه النظرة باليأس ، وتفقد الامل الباعث على التحرك ، وتتجه بصاحبها الى الانزواء والعزله عن ساحات العمل والدعوة الى الله وجهاد الكافرين وخوض الصراع مع الاستكبار العالمي وامتداداته في المنطقة الاسلامية .

قد يكون مبدأ النظرة السلبيه الموجوده عند بعض العناصر من المجتمع الاسلامي قصور الرؤية السياسيه والاجتماعية ، وعجزها ، وعدم امتلاك الرؤية الربانيه الثاقبه والنافذه الى اعماق المجتمع .

وقد يكون مبدأ هذه النظرة السلبيه حبّ العافيه وايثار الحياة الوادعه والآمنه والمستقرة على خوض الحياة الشاقه والمتعبة والسير على طريق ذات الشوكه .

التوجه السلبي لانتظار الإمام (عج):

وايّا ما يكون السبب فان هذه النظرة القاتمة تجاه العمل تتخذ احيانا من مسألة انتظار الامام الحجه المهدي ارواحنا فداه وعجّل الله فرجه اداة لتبرير القعود والسكوت

واليأس من العمل مستدلين بالروايات التي تدل على ان الله تعالى يؤخر ظهور الامام الحجة ارواحنا فداه ، الى ان تمتلىء الأرض ظلما وجورا . وبناء عليه فيجب ان ننتظر وبصبر حتى تمتلىء الارض ظلما وجورا ليظهر الامام واي عمل ايجابي في مجال الجهاد والامر بالمعروف يؤدي الى تأخير ظهور الامام عليه السلام .

ان (الانتظار) في هذا الرأي يتحول من مفهوم ايجابي مثمر وفاعل في حياة الانسان الى مفهوم سلبي وقعود عن العمل ، وانتظار سلبي ، من دون عمل .

ان ظهور الامام المهدي ارواحنا فداه ليس بدعا من سنن الله تعالى في الحركات والتغييرات والتحولات الاجتماعية والسياسية الكبرى .

وهذه التحولات تتبع سننا ثابتة لله تعالى في حياة الناس لا سبيل الى تغييرها وتعديلها ومن هذه السنن دور العمل والتحرك والتخطيط والصدق والاخلاص في تغيير المجتمع واسقاط مرحلة من التاريخ وبناء مرحلة جديدة .

وظهور الامام الحجة عجل الله فرجه لا يخرج عن دائرة هذه السنن والقوانين الاجتماعية .

وصحيح ان الله تعالى يؤخر ظهور الامام (ع) الى ان تمتلىء الارض ظلما وجورا ، ولكن من الطبيعي جدا في سياق السنن والقوانين الاجتماعية ان الارض لا تمتلىء بالظلم والجور دون ان يؤدي ذلك الى تكوّن محور آخر للقوة على وجه الارض وهو محور العدل والصلاح ، وبقدر ما تتسع رقعة الظلم في الارض يقوى محور العدل ويستقيم عوده ويتجمع شتات القوى الصالحه الخيّرة حول هذا المحور وبقدر ما يزداد شر الطغاة وظلمهم وفسادهم وتنكشف فضائحهم السياسية والاخلاقية يزداد الناس ثقة بهذا المحور الجديد ، وتقوى قابليه هذا المحور السياسي وقدرته على استقطاب المحرومين والمستضعفين على وجه الارض من كل الشعوب والالوان والقوميات وبالتدريج تتكون من هذا المحور بذرة الانطلاقه الجبارة التي يقودها الامام المهدي ارواحنا فداه والذي بشّر به رسول الله (ص) في احاديث اجمع عليها المسلمون .

وتنمو بذرة هذه الانطلاقه ويقوى هذا المحور السياسي الى جنب اتّساع رقعة الفساد وانتشار السقوط ، فاذا امتلأت الارض فسادا ، كان الى جنبه اساسا قويا وقاعدة متينه للانطلاق وللتغيير والاصلاح يتولاها بقية الله على وجه الارض وحجته عليه السلام .

وهذا التفسير في رأينا هو التفسير العلمي والموضوعي والذي ينسجم مع سنن الله تعالى في المجتمع لظهور الامام المهدي سلام الله عليه .

في انتظار الإمام ، ام في انتظار الامة ؟:

ولذلك فان القضيه تنقلب ايضا وبعكس الاطروحه المعروفه في توقع ظهور الامام وانتظاره من قبل الامة ، نقلب الامر فنقول ان الصحيح ايضا ، ان الامام عجل الله فرجه ينتظر العمل من الامة والانطلاق والثورة والحركة والبناء واعداد المحور السياسي الصالح في الارض في قبال قوى الشر والفساد ، ليحين وقت ظهوره وليقرب خروجه .

ان خروج الامام المهدي سلام الله عليه يرتبط بسنّه الهيه ثابته . وهذه السنه هي تشكل محور سياسي للقوى الصالحه على وجه الارض وتيقظ القلوب والنفوس والضمائر الصالحه والمظلومين والمحرومين والمستضعفين على وجه الارض ، فيقود الامام هذه المسيرة البشرية الجديده ويتولى قيادتها وتوجيهها ، وتتحرك هذه المسيرة في ركب الامام .

وإذن فان التحرك والعمل والجهاد والدعوة الى الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر هي مفاتيح ظهور الامام ووسائل خروجه وثورته الكبرى .

ولا شك ان هذه الوسائل من اهم عوامل خروج الامام عليه السلام والتمهيد والتوطئه لدولته المباركه .

وقد ورد في ذلك روايات كثيرة

روايات الموطئين لدولة الامام :

روي عن رسول الله (ص) : (يخرج رجل يوطىء لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله ، وجب على كل مؤمن نصره) .

وروي عنه (ص) : (يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي)[1] .

وروي عنه (ص) : (يأتي قوم من قبل المشرق ومعهم رايات سود ، فيسألون الخير فلا يعطونه ، فيقاتلون فينصرون ، فيعطون ما سألوه فلا يقبلونه حتى يدفعوها الى

---

(١) غيبة النعماني / ص ١٧٤ .

رجل من اهل بيتي فيملأها قسطا كما ملأوها جورا فمن ادرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج) .

وامثال هذه الروايات كثيرة .

ان المدلول الايجابي للانتظار في عصر الغيبه هو التهيؤ لاستقبال خروج الامام (ع) والجهاد بين يديه ، وتوقع ظهور الامام (ع) أيّة لحظه ، والانتظار بهذا المعنى يملأ النفس املا وثقه ورجاءا ، ويحول دون ان يتمكن اليأس من نفس الانسان .

ان الامة التي تتوقع خروج الامام وقيام دولة الاسلام لا يتمكن اليأس منها ، وعندما يتحكم الامل في سلوك الانسان واعماله وتصرفاته ينطلق باتجاه ايجابي وفاعلي في الحياة .

ان الامل يبعث في الانسان الروح والحياة والفاعليه والشجاعة والاقدام ، ويفجر في نفس الانسان الطاقات والكفاءات والامكانات المخبوءة .

ان الانسان المسلم عندما يواجه الواقع الانساني الفاسد في كل المجالات لا يطغى عليه اليأس ، وتبقى نافذه الامل في الامام المهدي الذي بشّر به رسول الله

(ص) مفتوحه امامه ، فلا تخمد جذوه الامل في نفسه .

والامل هنا يستتبع الحركة ، لان الانتظار يتطلب الاعداد والتحرك .

ان الذي ينتظر حلول ضيف كريم في بيته ويتوقع ان يحل عليه هذا الضيف في اي لحظه ، يكون في حالة استعداد دائم وتأهب مستمر .

والامة التي تتوقع خروج امام قائد يتولى قياده البشرية جميعا ، ويقود الثورة الكبرى في حياة الانسانية ، وتتوقع خروج هذا الامام القائد في اي لحظه . . . لا بد ان تعد نفسها لاستقبال الامام والجهاد في ركبه في سبيل الله .

ولا بد ان تعمل لاعداد المجتمع لاستقبال الامام والمشاركه في الثورة الكبرى وانجاحها .

وهذا هو سر قيمة الانتظار .

ان الانتظار السلبي لا قيمة له ، ولا دور له في حياة الانسان ، وانما يتحول الانتظار الى قيمة حركيه وثوريه في حياة المجتمع اذا تحول الانتظار الى قضيه ايجابيه في حياة الأمة .

وبالتأكيد هذا المفهوم الايجابي والحركي للانتظار هو

المقصود للروايات والاحاديث الوارده في قيمة الانتظار ، واليك شطرا منها :

في كمال الدين عن ابي عبد الله عن آبائه عليهم السلام ، قال : المنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله[1]

وعن سيّد العابدين عليه السلام ، قال : انتظار الفرج من افضل الأعمال[2] .

وفي البحار عن امير المؤمنين عليه السلام قال : (انتظروا الفرج ولا تيئسوا من روح الله فان احب الأعمال الى الله عز وجل انتظار الفرج)[3] .

وعنه عليه السلام ، قال : الأخذ بامرنا غدا في حضيره القدس والمنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله[4] .

وعن ابي عبد الله عن آبائه عن امير المؤمنين ، قال :

---

(١) كمال الدين / ج ٢ / ص ٦٤٥ / ب ٥٥ / ذيل حديث ٦ .
(٢) كمال الدين / ج ١ / ص ٣٢٠ / ب ٣١ / ذيل حديث ٢ .
(٣) بحار الأنوار / ج ٥٢ / ص ١٢٣ / ب ٢٢ / حديث ٧ .
(٤) بحار الأنوار / ج ٥٢ / ص ١٢٣ .

افضل عباده المؤمن انتظار الفرج[1] .

الرؤية الثاقبة للمؤمن:

ونعود الى حيث كنا من اطراف هذا الحديث فنقول ان رؤية المسلم الواعي الداعية تختلف عن رؤية غيره من الناس في هذه الصفه النفوذيه .

ان عامة الناس لا يرون غير السطح الظاهر من المجتمع وما يتناوب عليه من امراض وعلل وآفات . اما العاملون في سبيل الله ، الدعاة الى الله فيملكون رؤية نافذه ، ثاقبه ، تنفذ الى الاعماق البعيده من المجتمع ، ويرون من المجتمع ما لا يراه الآخرون .

وهذه الرؤية الثاقبه التي تنفذ الى عمق المجتمع حيث تكمن منابع الثروة الانسانية ، هي مبعث الرؤية والتصورات الطافحة بالامل وبعكس ذلك فان الرؤية السطحيه الى المجتمع تكون مصدرا لليأس والخوف في حياة الانسان .

---

(١) بحار الأنوار / ج ٥٢ / ص ١٢٦ .

وتتحول هذه الرؤية الطافحه بالامل في حياة الدعاة الى الله تعالى الى تحرك وجهاد وعمل وتغيير وثورة وبناء ، فكما تتحول المادة الى طاقه في عالم الطبيعة كذلك تتحول الرؤية والتصور الى حركه وعمل في المجتمع .

ان العمل التغييري والثوري في المجتمع لا يتم بدون الامل الباعث والمحرك للانسان ولا يتأتى للانسان هذا الامل ما لم يملك هذه الرؤية النافذه التي تخترق القشرة الفوقيه من المجتمع ، وتبلغ الاعماق العامرة بالخيرات .

الأعماق غير المرئية للإنسان:

وما ذكرنا عن المجتمع يصح في الفرد ايضا فان للفرد ظاهر وباطن وسطح وعمق . وظاهر الفرد كظاهر المجتمع يعلوه زبد من الشهوات والاهواء ، وتتناوب عليه الانفعالات ، فيغضب لكلمه ويضحك لأخرى ، ويخرج عن طوره بادنى شيء ، ويخضع لشهواته كما تخضع الحيوانات ، وتثيره الغريزة ، وتتحكم فيه الاهواء والشهوات ، ويتصرف فيه حب الدنيا ، ويلعب بعقله وفكره حب المال والجاه ، وتتقاذفه الشهوات من كل صوب .

ولكن هل هذا هو كل شخصيه الانسان ؟

بالتأكيد لا . ان ابعاد شخصية الإنسان اعمق من هذه القشرة الفوقيه التي تنتابه الانفعالات والشهوات .ولو كان هذا السطح الظاهر من حياة الانسان يعبر عن كل ابعاد شخصية الانسان ، لما كنا نجد مجالا في حياة الانسان ، لكل هذه الخيرات والاعمال الصالحة .

ان هذه الثورة الاسلامية الكبيرة لم تقم على اكتاف الملائكة ، وانما نهض بأعبائها هؤلاء الناس . وهؤلاء الناس الذين تحملوا اعباء هذه المسيرة الضخمة لم يكونوا في الغالب من النخبه الواعية في المجتمع ، وانما كانوا من عامة الناس ، من الذين تتناوب عليهم عوامل الخير والشر ، ومن عرض الشارع ، استطاعت الثورة ان تنفذ الى اعماق فطرتهم ، وتستخرج كنوزا من الشجاعة والتضحية والاخلاص من نفوسهم ، كانت مخبوءه قبل الثورة تحت انقاض الشهوات والاهواء والتربيه الاجتماعيه الفاسده .

وكانت الثورة لهؤلاء بحكم الانتفاضه الداخليه التي فجرت الثروات المعنوية والقيم الكامنه في نفوسهم ،

ونفضت عنهم غبار الحياة المادية وما يستتبعها من الشهوات والاهواء .

وابرزت من وراء هذا الغبار والصدأ المعالم الحقيقيه للشخصيه الاسلاميه .

ان هذه الملاحظه عن ظاهر وعمق الشخصية الاسلامية ، ملاحظه جديره بالدراسه والاهتمام في حقل التربيه الاسلاميه ومجالات الوعظ والارشاد والتذكير والعمل والتغيير والتحريك .

الذين ينظرون الى الانسان المسلم من خلال تعامله في الأسواق ، ومن خلال علاقاته المادية وتأثره بالاهواء والشهوات ومن خلال نظره اللامبالاة التي تظهر على سلوكه وكلامه تجاه المسائل الاسلامية يكاد ان يصيبه اليأس من تغيير هذا الانسان وتحريكه وتهذيبه وتوجيهه وتعبيده لله تعالى

ولكن حالات التحولات العميقة التي يتعرض لها هؤلاء الناس فرادى وجماعات بين حين وآخر ، وبمناسبه واخرى تكشف عن وجود رصيد كبير من النور والهدى والقيم والفضائل الانسانية في نفوسهم . . . يتجلى هذا الرصيد في حالات التحول والانقلابات الكبرى التي

يتعرض لها هؤلاء .

ومثل هذه الحالات والانقلابات في الشخصية كثيرة جدا . ونسمع الكثير نحن عن اشخاص كانوا قد انغمسوا في الشهوات والاهواء فاراد الله تعالى لهم خيرا فانتزعهم مرة واحدة من عالمهم وتعرضت حياتهم لثورة شاملة وعميقة وتحوّل عميق وانقلاب مفاجىء .

ان الشرائح الانسانية التي نراها اليوم في ساحة الثورة الاسلامية في ايران والعراق على جبهة القتال الاسلامية وداخل زنزانات حزب البعث في العراق ومن المسيرات المليونية في ايران وفي صفوف المجاهدين العراقيين المهاجرين بدينهم من شرذمة البعث . اقول ان الشريحة البشرية المتواجدة في ساحة الثورة الاسلامية في ايران والعراق . جديرة بالدراسة والتأمل العميق من قبل المربين والوعاظ .

ان هؤلاء الابرار جاءوا من اوساط الشعب المضطهد وليس من حقول ومدارس نموذجيه ، وكان كثير منهم من الاميين الذين لم يدرسوا في المدارس ولم يتخرجوا من معاهد الفكر الاسلامي ، ولم يقضوا فترات طويله في التأمل والتفكير ، ولم يتعرضوا لتجارب طويلة تزودهم

خبرة ونضجا ووعيا ، ولم يتتلمذوا على اقطاب الفكر والتربية ، ولم ينته بعد ربيع اعمارهم ، ولم يبدأوا حياتهم في عوائل عريقه في الوعي والاخلاص والفكر والجهاد ، بل كان الكثير منهم لا يعرف صلاة ولا صياما من قبل ، ولا يفتح القرآن ، ولا يفهم اوليات التديّن .

. . . ومع هذه النشأة العادية جدا نجد ان الثورة الاسلامية استطاعت ان تصنع في نفوس هؤلاء المعجزات ، وتبعث هؤلاء بعثا جديدا ، وتمنحهم ولادة جديدة ، وانقلابا داخليا شاملا وعميقا ، وقفزة تغييريه كبيرة ، . . . ان هؤلاء الشباب وكثير منهم يافعون ، لم يتجاوزوا بعد البدايات من ربيع حياتهم استطاعوا ان يقطعوا في هذه القفزة الروحية اشواطا من السير والسلوك الى الله تعالى لا يقطعها الانسان عادة الاّ بعد عمر طويل يقضيه في المعاناة والعمل وجهاد النفس والتأمل والتعليم وترويض النفس . ان هذه المسافة التغييرية الطويلة التي يقطعها هؤلاء اليافعون من التيه والضياع والانقطاع عن الصلاة والصيام الى قمم الشهادة والشهود والاخلاص والتضحية والزهد والمناجاة والبكاء والتضرع بين يدي الله وفي ساحة القتال ، واستقبال الموت بشوق ولهفه صادقة . . . اقول ان هذه المسافة لمسافه طويلة في حساب

الـزمـان اذا اراد الانسـان ان يتـدرج فيهـا ويسلك هـذا الـطريق سيرا تـدريجيا ، ولكن هؤلاء الشبـاب قطعـوا هذه الاشـواط الـطويلة بقفـزة واحـدة ، ورزقهم الله تعـالى من المعـرفة والاخـلاص والـذكـر والتضحيـه والاقـدام والـوعي والبصيـرة ما لا يتـوفـر لعـامـة النـاس الا في مسـير طـويـل وشاق .

ولا شـك ان هذه التحـولات والانقـلابـات الـداخليـة اعـظم من انقلاب النـظام نفسه ولا قيمـة لانقـلاب النـظام اذا لم يرافقه مثـل هذه الانقـلابات والتحـولات في شخصية الانسان .

ان الايـام المشهودة في التـأريخ هي من ايـام الله . وقد فتح الله تعالى في هـذه الايام ابـواب رحمته عـلى عباده اكـثر من اي وقت آخـر ، والسعيد من عـرض نفسـه عـلى رحمـة الله والشقي من يحرم رحمة الله تعالى .

(ان لله في دهركم هذا نفحات الا فتعرضوا لها)

ولا شـك ان هـذه الثـورة المبـاركـة نفحـه من تلك النفحات الربانية المباركة في حياة النـاس اصابت هـذه الامة الخـاملة فبعثت فيهـا الحيـاة والحـركـة والايمـان والاخـلاص والتضحية .

والشقي من يحرم هذه الرحمة الالهية الموصولة في مثل هذه الايام .

ومهما يكن من امر ، فان هذه التحولات الكبيرة التي حدثت بعد الثورة في محتوى ومضمون الشخصية الاسلامية كشفت عن حقيقة هامة هي وجود اعماق صالحة وغنية في نفس الانسان المسلم المعاصر لم ينفذ اليها الفساد ، ولم يصادرها الشيطان بعد .

وهذه الابعاد غير المرئيه تعطي للمربين والوعاظ والعاملين في سبيل الله فرصة جيدة للعمل في اوساط هذا الجيل لانتشاله وتعبيده لله تعالى وتوجيهه وتخليصه من ادران الحياة المادية المعاصرة .

عندما تموت الشجرة من جذورها:

وتبقى هذه الصلاحية في النفس ، هي الاساس والقاعدة في التعامل مع الانسان . فلا يزال في نفس الانسان رصيد كبير من الفطرة ظاهر على سلوكه او مدخر في اعماق نفسه . وهذا الرصيد هو اساس الثقة بالانسان ، مهما انتشر الفساد في حياة الانسان ، ومهما عمته الاهواء والشهوات ، الّا ان ينفذ بالتدريج في

اعماق نفسه ويتسرب الى كنوز الفطرة المدخرة في نفسه فيفسدها بمرور الزمن . فلا يبقي عند ذلك امل ورجاء في مثل هذا الانسان ، ولا يبقى له من خيار الّا الهلاك والسقوط الكامل .

وقد واجه نوح عليه السلام في قومه هذه الحالة من نضوب الفطرة والسقوط فدعا ربه ان لا يذر منهم على الارض ديارا .

﴿ وقال نوح ربّ لا تذر على الارض من الكافرين ديارا . انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الّا فاجرا وكفارا ﴾[1] .

وتأملوا قليلا في قول نوح (ولا يلدوا الا فاجرا وكفارا) انه يكشف عن نضوب كامل للفطرة في اعماق هؤلاء ويأس كامل من صلاحهم . وفي هذه الحالة فسوف لا يلدون الا فاجرا وكفارا ، ولم يبق امامهم الا الهلاك والسقوط .

والذي ينظر الى الحضارة المادية المعاصرة في امريكا واوروبا وروسيا والصين يعرف ان النتيجة التي تنتظر هذه

---

(١) سورة نوح / آية : ٢٦ ـ ٢٧ .

المجتمعات الغارقة في اللهو والفساد والعدوان لا تختلف عن النتيجة التي اصابت قوم نوح .

فعندما يستأصل الفساد كل جذور الفطرة في نفس الانسان ، وينضب الخير في اعماق النفس يأتي دور التصفيات الالهيه الكبرى في تاريخ الانسان .

ان هذه الحضارة تشبه بناء شامخا يزهو ولكنه منخور ومتآكل من الداخل ، لا يعلم احد متى ينهار ، ولا يكون الا بغته وبصورة مفاجئة .

اجل ، بينما نجد نحن ان العالم الاسلامي يستقبل مرحلة جديده من حياته تتصف بالصحوة واليقظه والتحرك والثورة والبناء . . . فان الحضارة الغربية تسير سريعا باتجاه نتيجه حتميه هي السقوط والانهيار الكامل .

ان الامة الاسلامية ، رغم كل المآسي التي مرت عليها خلال هذه الفترة من الاستعمار والخمول . . . امة مباركه ذات اصالة وعراقة وعمق ، وتحتفظ برصيد كبير من الايمان والكفاءة والتضحية .

وقد اثبتت هذه الحقيقة تجارب كثيرة في تاريخنا البعيد والقريب ، آخرها وليس اخيرها الثورة الاسلامية المباركة

في ايران التي اثبتت اصالة وسلامة الامة .

ولا بد لكل العاملين في سبيل الله والحركات والاحزاب الاسلامية من وعي هذه الحقيقة واستيعابها والانطلاق الى العمل من قاعدة الثقة بالامة والامل ورجاء رحمة الله الواسعة .

وهذه هي الرؤية التي تعاملت الثورة الاسلامية من خلالها مع المجتمع الاسلامي ومع الفرد المسلم . ولكي تمتد الثورة ، وتواصل دورها في المنطقة الاسلامية . . . لا بد من ان نحافظ قبل كل شيء على سلامة الرؤية وصفائها ونقاوتها ، ونحذر من الرؤية اليائسه والقاتمه تجاه الفرد والمجتمع ، وننطلق الى تحريك المجتمع الاسلامي الكبير بهذه الرؤية الاسلامية الطافحة بالامل والواثقة بتأييد الله تعالى ونصره .

حضور الامة في ساحة الثورة

من اهم عناصر القوة في الثورة الاسلامية في ايران الحضور الواعي للامة في الساحة السياسية ، فما يكاد يواجه الثورة خطر من قريب او بعيد ، او مؤامرة تنسج خيوطها في خفاء حتى تنحدر الامة الى الشوارع غاضبة

متحديه صارخة مزمجرة في صفوف متراصة متلاحمة ولا تعود حتى تطمئن على ثورتها واستقرارها .

والى جانب هذه الثورة الغاضبة للامة التي لا تبقي ولا تذر على العدو ومخططاته عندما يستثير غضب الامة ويفجر سخطها فانها تتميز بصبر غريب على تحمل اعباء الثورة وتبعاتها والأعضاء عن تجاوزات المنافقين عندما يتطلب الامر الصبر او الأغضاء .

فلم تكن اعتداءات وتحدّيات ابو الحسن بني صدر رئيس الجمهورية السابق غائبة عن وعي الامة ، ولم تكن محاولات الالتفاف التي كان يقوم بها المنافقون على محور بني صدر السياسي غائبة عن الامة . فقد كانت الامة تعلم كل شيء عن تآمر المنافقين للالتفاف على الثورة ومحاولاتهم الكثيرة لخلق جو من الشك حول الثورة ورجالها على صفحات جريدتي (الانقلاب) و (الميزان) ، وكانت الامة تعلم بالخطط المبيته لضرب الثورة والقضاء عليها او تحريفها ، وتغلي النفوس المؤمنة غضبا على ما يجري في الساحة الداخلية من ناحية هؤلاء المنافقين وهي تواجه حربا مصيرية على الحدود الجنوبية والغربية ، وتكافح حصارا اقتصاديا يشل حركة الاسواق ويضايق الناس في معايشهم .

الانضباط السياسي والحزم:

ولكنها كانت تمارس بحزم ضبطا للنفس وتقف بصبر منتظرة اشارة القائد حفظه الله .

وعندما انحدرت الى الشوارع كالسيل الهائج واكتسحت عن طريقها الرئيس المنحرف واعلامه وجهازه والفئات والجماعات الملتفه حوله لم يكن قد نفذ صبرها ، كما قد يخطر على البال وانما كانت قد تلقت الضوء الاخضر بذلك من الامام اعزه الله .

وقد شهدت صلاة الجمعة في طهران التي اعقبت خطاب (بني صدر) المعروف في جامعة طهران والذي استثار الامة واغضبها اكثر من اي وقت آخر ، وكانت جماهير الامة يومها غاضبة ، ساخطة ، تزمجر ، وتصرخ بالموت لبني صدر وزمرته ، فلما تقدم امام الجمعة الى منصة الخطابه توجهت الهتافات الصارخة اليه تطالبه بفضح الرئيس والمطالبه بتنحيته فبدأ امام الجمعة يدعو الناس في وسط هذه الصرخات الغاضبة الى السكوت والصبر وتجنب ذكر اي شخص باسمه والالتزام بموقف الامام بدقة فلم اشعر الا وقد استسلم هذا الجمهور المليوني الغاضب

الهائج لدعوة امام الجمعة وسكت وهدأ كأنما لم يحدث شيء ، وكان يجلس الى جنبي صديق زائر الى ايران فرأيت آثار الاستغراب على وجهه فقلت له : مم تعجب ؟ قال لي : اي سحر يملكه امام الجمعة على هؤلاء الناس ؟ فقلت له : لو كنت تعكس السؤال فتقول اي طاعة وثقة يتمتع بها هذا الجمهور تجاه قضاياه المصيرية ؟ . . . لكنت اقرب الى الصواب .

وهذا هو بعض السر في نجاح الثورة وقوتها واستمراريتها رغم كل محاولات القوى المعادية للثورة الاسلامية من الداخل والخارج .

ومن ينظر الى صبر الامة وتحملها لاعباء الثورة ، والحرب ، والحصار الاقتصادي ، ومضايقات المنافقين ، وتحركهم ، وما تقدمه هذه الامه من تضحيات من افلاذ اكبادها ، وهي واقفه بصبر وحزم يقول : ما اصبر هذه الامة واكثر انقيادها وتحملها وطاعتها ، ومن ينظر اليها هائجه غاضبه تنحدر الى الشوارع كالسيل ينحدر من (عل) لا يبقي ولا يذر على اعداء الثورة وخططهم وجذورهم وعلاقاتهم ، يقول ما اغضب هذه الامة واسرعها الى الثأر والانتقام .

الحضور الواعي في الساحة:

ويتميز الحضور الجماهيري للامة في الساحة السياسية بوعي سياسي منقطع النظير ، ودقة فائقة في فهم القضايا السياسية ووزنها بموازين الحق . وبعكس ما يتصوره البعض من الطبيعة الغوغائية للجماهير وغلبة العقل الجمعي في تصرف الجماهير وتحركها . فان الساحة الاسلامية في الجمهورية الاسلامية شهدت خلال هذه السنوات التي اعقبت قيام الثورة الاسلامية حضورا واعيا للجماهير ، يتميز بالفهم الدقيق والرؤية الواضحة ، بالاضافه الى ما تقدم من قوة وهياج وضبط للنفس يبعث على الاعجاب والاعتزاز .

فقد كانت الصحف ووسائل الاعلام التي كان يديرها النفاق في ايران مثل (الانقلاب) و (الميزان) و (جبهه ملي) و (المجاهد) وغيرها والخطابات والمحاضرات التي كان يلقيها هؤلاء تركز بخبث على تشكيك الامة بقياده الثورة من خلال القاء الاضواء الكاشفة على الظروف الاقتصادية الصعبة التي تمر بها الثورة والمتاعب السياسية والادارية والاجتماعية والعمرانية والامنية التي تمر بها الامة

كنتيجه طبيعية لظروف ثورة شاملة كالثورة الاسلامية في ايران .

وكان من الطبيعي ان يكون لهذا الاعلام المعادي دور مؤثر في تضليل الناس فلا يكاد يعي التعقيدات التي تواجهها الثورة الاسلامية عالميا وداخليا الا قلة من الناس ، اما غالبية الناس فهم اقرب الى المحسوس في فهم امثال هذه القضايا منهم الى المعقول ، ولكننا لا نكاد نملك انفسنا من العجب عندما نجد المسيرات الحاشدة المليونية من الناس تخرج الى الشوارع وتهتف بحياة الثورة ، والقائد الامام الخميني اعز الله نصره ، ورجال الثورة وباستعدادها لتحمل المزيد من المتاعب والصعوبات واجتياز المزيد من العقبات التي تعرقل مسيرة الثورة والتي يزرعها الاستعمار العالمي هنا وهناك في مسيرة الثورة .

وكان الاستعمار الغربي يعتمد بعد انهيار خطه الاول ـ النظام الشاهنشاهي ـ على الخط الثاني (الجبهة الوطنية ومواريث القومية الآرية) ، وكانت الجبهة الوطنية قد بذلت اقصى ما يمكن من جهد لتخلق من (مصدق) بطلا وطنيا اسطوريا للايرانيين ومن رجالها الاحياء خلفاء لمصدق . . . وكانت امريكا تعتمد على الجبهة الوطنية

لتخلف النظام الشاهنشاهي على الحكم لتحفظ مصالحها في هذه المنطقة ، الا ان هذه الجبهة باءت في اول تجربه اجتماعية لها في انتخابات مجلس الشورى الاسلامي بفشل ذريع اسقط كل حساباتها . ويسقط مصدق من اعين الناس وعاد هذا البطل القومي الاسطوري مسبه للناس .

ورغم كل الدعايات المعاديه التي قامت بها ابواق دعايات المنافقين ضد الحزب الجمهوري والحوزة العلمية في قم والهيئة العلمية في طهران والمنظمات الاسلامية . . . كان يكفي ان يكتسب المرشح للمجلس توثيقا وتزكيه من هذه الهيئات والمنظمات حتى يفوز في الانتخابات . فلم يكن يعرف اكثر الناس المرشحين الذين فازوا في الدورة الاولى من الانتخابات ، وانما وضع الناس ثقتهم في القوائم الموحدة التي تقدمت بها هيأة علماء قم وطهران والحزب الجمهوري الاسلامي والمنظمات المعروفة بين الناس بالسلامة والنظافة .

ونظرة واحدة الى نوعية النواب في مجلس الشورى الاسلامي وتوجهاتهم الاسلامية الواعية في القضايا السياسية تكفي لتكوين فكرة كاملة عن الوعي السياسي عند جماهير الامة ودقة وسلامة الموازين التي يزن بها

السمة العبادية لحضور الامة في الساحة:

ومن اكثر ما يلفت النظر ويبعث على الاعجاب والاعتزاز في حضور الامة في الساحة . . . ان هذا الحضور يكتسب صفة عبادية كاملة في ذهنية الامة ، تماما كما تكتسب الصلاة والصوم والحج هذه الصفة ، وتقرب الناس الى الله تعالى .

فالناس يحضرون المسيرات المليونية كما يحضرون الصلاة ، ويحرصون على الحضور فيها كما يحرصون على الحضور في المواسم الاسلامية العبادية ، ويتقربون الى الله تعالى في المساهمة في هذه المسيرات المليونية كما يتقربون الى الله تعالى في صلاتهم وصومهم وحجهم .

واحيانا يحضرون هذه التجمعات كفريضة اسلامية يحرم التفريط فيها فالمشاركة في انتخابات رئاسة الجمهورية والمجلس فريضة اسلامية بحكم الامام دام ظله ، وتوجهت الامة بهذه النية الى صناديق الانتخاب .

ومن الشواهد الحية على ذلك مشاركة ما يزيد على

خمسة عشر مليون ناخبا في انتخابات رئاسة الجمهورية الثانية رغم ظروف الحرب الصعبة وهجرة ما يزيد على مليون ونصف من منكوبي الحرب من بلادهم وصعوبة اجراء الانتخابات في المناطق الكردية ، ودعايات المنافقين المعادية وتخويفهم للناخبين بتفجير مراكز الانتخابات ، وكان حضور الامة مع ذلك في الانتخابات بهذه الصورة امرا مثيرا للاعجاب حقا ، وحتى العدو لم يستطع ان يخفي اعجابه بهذا التضامن والتلاحم الذي تتمتع به الامة في مثل هذه الظروف الصعبة .

وهذا الاحساس يعطي للمسيرات والتجمعات الاسلامية ضفة مقدسة ويكسبها فعالية وقوة وتأثير منقطع النظير في نفوس المشاركين والمساهمين .

مشاركة المرأة:

ومن الظواهر الفريدة في الثورة الاسلامية في ايران مشاركة المرأة في الحضور في الساحة السياسية بقوة والى جانب الرجل بزيها الاسلامي الوقور وبأعداد ضخمة . وما اكثر ما يجد الانسان في هذه المسيرات امّا تحمل طفلا وتصطحب آخر معها ، ولا يعوقها ذلك من مواكبة مسيرة

الثورة واداء دورها القيادي الرائد في هذه الثورة . وقد اعادت هذه المشاركة الفعالة للمرأة المسلمة الثقة في نفسها وفي دورها ومسؤوليتها عن حماية الثورة كما اعطت الرجل مزيدا من القوة والمقاومة . لقد شاركت المرأة الرجل في كل مراحل الثورة وسبقته احيانا في التضحية والاقدام ، وبعثت في نفوس الرجال كثيرا من القوة والحزم ، وقامت بدورها في صنع الثورة حتى في مراحل حرب الشوارع . وبذلك تقوم المرأة لأول مرة في تاريخنا المعاصر بدور سياسي فعال في الحياة السياسية الاسلامية في مواقف واعمال مسؤولة وجريئة ، ضمن الحدود الاسلامية ، وتعطي جوابا عمليا حاسما لكل الاتهامات التي كانت الحضارة الغربية تتهم بها المرأة المسلمة ، وتضع الطبقة المترفة من النساء المتأثرات بالحضارة الغربية امام موقف محرج ومربي في آن واحد .

حضور الامة الدائم في الساحة السياسية من اهم اسباب نجاح الثورة واستمراريتها :

وليس من شك ان هذا الحضور الدائم والواعي للامة في الساحة السياسية من اهم اسباب نجاح وتوفيق وقوة

واستمرارية الثورة الاسلامية في ايران ، فهو :

١ ـ يشد الامة بقيادتها ، ويشعر القيادة بالثقة ويمنحها القوة والفعالية ، والقدرة على الحسم في المواقف السياسية التي تتطلب الحسم .

فالقيادة جزء لا ينفصل من الامة ـ تستمد عزمها وقوتها وارادتها وجديتها ـ بعد الله تعالى ـ من الامة والامة عندما تدعم قيادتها وتقف الى جانبها في متاعب الطريق ، تمنحها القوة على الحسم والاستمرار والمضي وتكسبها الفعالية والصبر والثقة والطمأنينة .

٢ ـ لتشعر الامة ـ في نفس الوقت بوجودها . فالمنافقون يملكون من وسائل الاعلام واساليبه الشيء الكثير . وهذه الوسائل مضلله تجعل البعيد قريبا والقريب بعيدا والقليل كثيرا والكثير قليلا . وعندما ينظر المسلم من زاوية هذا الاعلام المضلل الداخلي والخارجي الى الساحة السياسية تضعف ثقته بالثورة وقدرتها على تجاوز هذه العقبات . ولكن لا يكاد يحشر نفسه في مسيرة من هذه المسيرات المليونية الحاشدة حتى يستعيد ثقته بالثورة والامة ، ويشعر بوجوده وقوته وقابليته على تجاوز التحديات والعقبات كما يشعر بضآله حجم العدو .

٣ ـ ويخلق هذا التواجد في الساحة السياسية جوا من التعاون والتفاهم والتحابب والتآلف ووحدة المصير بين قطاعات الامة وفئاتها المختلفة .

٤ ـ ويمنح كل فرد من افراد الامة شعورا طاغيا بأن هذه الثورة الاسلامية قضيته هو ، وبأنه يدافع عن قضيته ويساهم في امرها ، ويشعره بسهمه ودوره في بناء الثورة واستمراريتها . وهذا الاحساس وما ادراك ما قيمته في بناء شخصية الانسان المسلم وتحريكه ودفعه للعمل واشعاره بدوره القيادي الرائد في بناء الثورة واستمراريتها وحمايتها من الاعتداءات .

خط الامام

من اهم مكاسب الثورة الاسلامية ظهور خط سياسي اسلامي ، يعبر عن مواقفنا الاستراتيجية السياسية والجهادية ، ويرتبط بمواقعنا واصولنا الفكرية والايمانية ، وذلك هو خط الامام الخميني حفظه الله ، قائد الثورة الاسلامية الكبرى في عصرنا ومؤسس الجمهورية الاسلامية .

ولا شك ان ظهور خط الامام حدث سياسي هام ، يستحق دراسات واسعة وتحقيقية ، فلأول مرة في العصر الحاضر يكون لجهادنا السياسي ، خط سياسي محدد المعالم ، واضح الاتجاه .

وقد ظهر مصطلح « خط الامام » لأول مرة عند احتلال السفارة الامريكية ، من قبل الطلبة المسلمين ،

الذين سموا انفسهم بـ« الطلبة السائرين على خط الامام » ومنذ هذا التاريخ دخل هذا المصطلح في قاموس الثورة ، الاّ ان مضمون خط الامام ، والمحتوى السياسي والفكري ، لهذا المصطلح كان موجودا في عمق الثورة ، قبل ذلك بزمان بعيد .

لقد جمعت الثورة في مسيرتها كل الغاضبين والناقمين على النظام الشاهنشاهي في بداية السير من اقصى اليمين الى اقصى اليسار وكان للنظام الملكي اعداء ومناوؤن سياسيون كثيرون ، جمعتهم الثورة الشعبية العارمة . وكل يمني نفسه ان يحتوي الثورة ، بعد ان تحقق هدفها ، وتسقط النظام الملكي العتيد .

ورغم انٍ قيادة الثورة كانت خلال المسيرة للامام الخميني حفظه الله بلا منازع ، فقد كانت الثورة تستوعب كل الاطراف السياسية المعارضة للشاه ، على أمل ان تحقق الثورة سقوط النظام لتبدأ الجولة الثانية من الصراع السياسي الحاد ، لاستيعاب واحتواء الثورة .

فلما حققت الثورة هدفها وسقط النظام الملكي اقدام الشعب الثائر وسحبت تماثيل الملك ، من الساحات والميادين بدأ صراع جديد ، حول القيادة الجديدة ، التي

تخلف النظام الملكي ، ودخل الحزب الشيوعي ، والاحزاب اليسارية الماركسية ، والاحزاب الوطنية ، والجماعات الاسلامية ـ الماركسية ، والاحزاب القومية في المعترك السياسي ، لاحتواء الثورة ، او تقسيم الميراث ، وأخذ الصراع شكلا حقيقيا ، ولولا هيمنة الشارع الاسلامي على الثورة وقوة ونفوذ قيادة الامام ، لكان الصراع يأخذ شكلا مخيفا .

وفي هذه المرحلة تمايزت الخطوط السياسية ، وتميز من بين هذه الخطوط « خط الامام » ، كخط سياسي واضح المعالم والاتجاه ، واجتذب هذا الخط ، دون سائر الخطوط ، جماهير الامة ، وعزل سائر الخطوط عن الساحة السياسية .

ولسوف نتناول ، في هذه المقدمة ، تاريخ ، وخصائص ومكاسب وضريبة وقيمة ، ومعالم ، ومصادر ، خط الامام بشكل موجز ان شاء الله تعالى .

* * *

لمحة تاريخية

في غفلة من اجهزة الرصد السياسي للاستكبار العالمي ـ الشرقي والغربي ـ كان ينمو في العالم الاسلامي وعي سياسي اسلامي اصيل ، وبصورة هادئة ، وهيّأ الله تعالى لهذا الوعي السياسي ان ينمو نموا سويا ، ويأخذ حظه من النضج . فقد تكوّن هذا الوعي على شكل صحوة سياسية ، في العالم الاسلامي في الطبقة المؤمنة المثقفة بصورة محدودة ، ثم تحول الى وعي سياسي وتوسعت مساحته ، وشملت مساحات كبيرة من الامة ، وتحول في جسم الامة الى حركة واعية باتجاه عودة الاسلام الى الحياة من جديد وتفاعلت هذه الحركة في جسم الامة وتحولت الى انتفاضة شاملة في ايران ، والعراق ، ومصر ، والاردن ، والسودان ، وباكستان ، واكثر الاقاليم الاسلامية .

وقد نجح الاستكبار العالمي في امتصاص هذه الانتفاضات الاسلامية والجماهيرية ، في بعض الاقطار بخبث وذكاء ، وفشل في اقطار اخرى ، فاستعمل العصا ، والعصا في حساب الحكام الورقة الاخيرة التي ليس وراءها ورقة اخرى .

وتحولت هذه الانتفاضة الى ثورة اسلامية هزت أمواجها العروش والتيجان والمعادلات السياسية في المنطقة ، واجتذبت اهتمام كل المسلمين وكل المحرومين ، واخذ الناس في العالم يتابعون اخبار الثورة الاسلامية باهتمام وحرص .

حتى شاء الله ان تفلح الثورة في اقامة اولى دولة اسلامية في العصر الحاضر .

واصبحت هذه الدولة المباركة موضع امل عامة المحرومين والمستضعفين من المسلمين وغيرهم ، واصبح هذا الكيان رغم حداثته يهدد كل الكيانات السياسية التقليدية القائمة على العمالة الشرقية والغربية او المزدوجة . وبدأ التفاعل الجماهيري، مع الثورة الاسلامية والدولة الاسلامية المباركة بتصاعد في العراق وفي الخليج والسعودية ولبنان ، بشكل غير اعتيادي ، مما حرك جرس

الانذار للحكام في المنطقة ولاسيادهم خارج المنطقة فتكالبت القوى الاستكبارية العالمية وفي مقدمتها ـ امريكا ثم فرنسا لمضايقة ومحاصرة هذه الثورة والدولة الاسلامية المباركة .

زرعوا امام الدولة المباركة عقبات ، والغاماً، ومتاعب ، ومشاكل سياسية ، واقتصادية وعسكرية ، كان اخرها الحرب التي اثارها النظام العراقي ضد الجمهورية الاسلامية .

وكان على هذه الدولة المباركة ان تجتاح هذه العقبات واحدة بعد اخرى وتنتهي من عقبة اقتصادية لتتجاوز اخرى سياسية ، وتنتهي من عقبة سياسية ، لتبدأ باجتياز اخرى عسكرية ، وقد كان يتزامن في وجه الدولة المباركة اكثر من عقبة داخلية وخارجية في وقت واحد .

وتجاوزت الثورة والدولة المباركة هذه العقبات ، بحول الله تعالى ، وتأييده ، بتوفيق ونجاح منقطع النظير .

وخلال هذه التحولات ، والانقلابات ، والاحداث الكبرى الخطيرة ، والمواجهات الجادة السياسية والعسكرية والاقتصادية ، والابتلاءات الصعبة ، تنامى داخل الامة خط سياسي حركي وفكري وجهادي ، يشكل استراتيجيتنا

السياسية والجهادية ، وينبع من الاصول العميقة لتفكيرنا الاسلامي ، وذلك هو « خط الامام » .

وهذا الخط في اصوله التاريخية المعاصرة ، هو نفس الوعي السياسي الاسلامي ، الذي اجتاز هذه المراحل السياسية ، والجهادية ، خلال نصف قرن من الزمان تقريبا ، حتى تكاملت ابعاده ، وكمل نضجه ونموه ، وظهر على الساحة الاسلامية ، على شكل خط الامام ، من خلال السلوك السياسي والجهادي لقائد المسيرة الاسلامية الامام الخميني حفظه الله .

خصائص
ومميزات خط الإمام

الغطاء السياسي والانساني لخط الامام:

والخاصية الاولى ، في هذا الخط ، ان هذا الخط ليس خطا سياسيا ، وجهاديا نظريا ، تبلور من خلال تنظيرات علمية ودراسات سياسية اكاديمية ، وانما تبلورت ابعاد هذا الخط السياسية والجهادية من خلال ركام من جهاد وجهود العاملين واتعابهم ، وتحركهم ، وسهرهم ، ودمائهم ، ودموعهم ، ومتاعبهم خلال طريق ذات الشوكة ومن خلال عذابهم ، وسجونهم ، وهجرتهم ، وفرارهم ، وقرارهم ، خلال هذه الفترة المباركة من عمر المسلمين .

وهذه الجهود والمجاهدات هي غطاء لخط الامام ، وليس مجموعة نظريات ودراسات اكاديمية ، وهو غطاء مبارك يبعث على الاطمئنان والامن .

فان الانسان العامل ، عندما يضع خطاه على هذا الخط المبارك يعلم انه يضع خطاه على طريق شقّته امة كبيرة من المجاهدين والعاملين في سبيل الله من خلال تجاربهم وآلامهم وعذابهم ، وعملهم ، وتحركهم ، وجهادهم ، وما رزقهم الله من نور وبصيرة خلال هذه الحركة المباركة .

ولقد سدد الله تعالى الكثير من الاخطاء وقوّم الكثير من الزلات ، في حياة العاملين خلال هذه الجولة الربانية الكادحة .

وكان هذا الخط حصيلة هذه التجارب والابتلاءات .

* * *

وقد كانت الامة ، خلال هذه المسيرة الشاقة الشائكة وقود الحركة ، ومصب كل الآلام والمحن ، التي تجاوزتها الحركة والثورة الاسلامية ، في مراحلها المختلفة وقد دفعت هذه الامة الكبيرة ، ولا تزال تدفع ضريبة هذه الحركة الربانية في التاريخ ، وتحملت آلام الطريق ومتاعبه بصبر وجلد . . فمن الطبيعي اذن ان يكون هذا الوعي والخط السياسي الذي تبلور خلال هذه الفترة قد تبلور في عمق ضمير الامة ، ووجدانها وقناعتها ، وتفاعلت معها الامة

تفاعلا كاملا ، وتحول الى قناعة وايمان ثابت ، في عمق وجدان الامة .

فهذا الخط ـ اذن ـ ليس خطا فكريا وسياسيا طارئاً يفرض على افكار الناس ، من خلال اجهزة الاعلام ، وانما هو الخط الفكري ، والسياسي ، والجهادي النابع من تجربة الامة وقناعتها ، ومعاناتها ، وتكونت مفرداته ، من خلال حركة الامة ، وتضحيتها ومحنتها .

وهذا هو الغطاء الانساني لخط الامام .

وقد كان هذا الالتحام ، بين الامة وخط الامام ، من اهم اسباب وقوف الامة بحزم وثبات ، لحماية خط الامام وحراسته من الانحراف ، ومن اندساس المنافقين والانتهازيين ، داخل الخط ، بغية تحريفه وتوجيهه لخدمة مصالحهم الشخصية والفئوية .

الابعاد الحضارية والتاريخية لخط الامام

ومن خصائص هذا الخط ، ان الجذور الاولى لهذا الخط يمتد الى رسالة الانبياء والائمة عليهم السلام ، فليس هذا الخط خطا مبتورا ، اجتث من فوق الارض ، ما له

من قرار ، وانما هو في ابعاده التاريخية خط الانبياء والمجاهدين ، والدعاة الى الله تعالى والائمة عليهم السلام وهو بذلك خط عريق ، اصيل ، ذو اصول ثابتة ، والاحساس بهذه الحقيقة ، يعمّق صلة الناس العاطفية والعقلية بهذا الخط .

فالانسان ليس كائنا مبتورا عن اصوله وجذوره التاريخية وتراثه . وحيثما يشعر انه يتبع في حركته مواضع خطى سلفه من الانبياء ، والدعاة الى الله تعالى والمقيمين للصلاة ، والمجاهدين في سبيل الله . فلا شك ان صلته بالخط وعلاقته به تتأكد ، وتتصاعد درجة تفاعله الروحي والعقلي والعاطفي مع هذا الخط .

وهذا بالتأكيد من اهم عوامل بقاء الثورة الاسلامية واستمرارها على خط الامام ، رغم كل المعاكسات والعقبات التي واجهتها الثورة ، خلال هذه المسيرة الشاقة .

فقد انطلقت الثورة من المساجد ومن على منابر الاسلام ، ومجالس عزاء الحسين عليه السلام ، وتصاعد مد الثورة ، خلال ايام محرم ، حيث يجدد المسلمون ذكرى سيد الشهداء ابي عبد الله الحسين عليه السلام .

والذي يتتبع كلمات الامام حفظه الله ، خلال مسيرة الثورة ، وبعد قيام الدولة ، يجد ان الامام يولي اهتماما كبيرا يربط الثورة بثورة سيد الشهداء الحسين عليه السلام والمحافظة على اقامة ذكرى الامام الحسين في عاشوراء ، بالصيغة الشعبية التي الفها المؤمنون ، والاستفادة من منابر عاشوراء ومجالسها ومسيرتها ، في المحافظة على مكاسب الثورة ، مع المحافظة على الناحية المأساوية لذكرى عاشوراء ، والاستمرار في اقامة مجالس العزاء ، كل ذلك لتبقى عجلة الثورة مشدودة بابعادها التاريخية ، ولتربط مسيرتنا السياسية والجهادية بتلك المسيرة الربانية الكبرى .

النصاب الشرعي للولاية في خط الامام:

ومن ميزات وخصائص هذا الخط « ولاية الفقيه » ، والتأكيد على ارتباط الحاكمية بالفقيه ، في عصر غيبة الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، وبذلك تتكامل حلقات سلسلة الحاكمية والولاية في حياة الانسان ، فان الله تعالى هو مصدر الحاكمية والولاية وقد اولى الله تعالى نبيه هذا الحق في حياة الناس : ﴿ **النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم** ﴾ ويتسلسل الحكم والولاية من ائمة المسلمين

عليهم السلام ، وفي عصر الغيبة تستقر هذه الولاية بصورة شرعية في الفقيه ، الذي يلي امور المسلمين ويتصدى لشؤونهم ، وبذلك تستقر الولاية على النصاب الشرعي لتتكامل حلقات هذه السلسلة .

الاصالة في خط الامام:

ولم يتأثر هذا الخط ، خلال العبور من وسط التيارات الحضارية المعاصرة ، بشيء من مفاهيمها وافكارها ، وحافظ على اصالته ونقاءه من التلوث الفكري والحضاري والسلوكي رغم ان كلما كان في الجو الحضاري السائد ، كان يشجع ويدعو الى هذا التميع ، والانصهار في المفاهيم والافكار الغربية والشرقية .

وليس من شك ان الصلابة الفكرية لشخصية الامام كان من اهم عوامل هذه الاصالة ، ففي بداية قيام الدولة ، ويوم طرح الامام حفظه الله هذه الدولة للاستفتاء على الرأي العام ، خطب الامام لتوجيه الرأي العام ، وقال : « انني اعطي رأيي للجمهورية الاسلامية » ، من دون زيادة او نقيصة ، واوصد الباب بشجاعة ، دون كل المحاولات التي كانت تحاول دس الديمقراطية ، او

الشعبيـة ، او الاشتراكيـة ، او غـير ذلـك من المفـاهيم والمصطلحات الدخيلة على جوهر هذه الدولة ومحتواها .

ثم تبنت الثورة ، من خلال توجيهات وخطابات الامام ورجال الثورة وشعارات وهتافات الامة شعار اللاشرقية واللاغربية .

وما ادراك ما قيمة هذا الشعار ، وعمقه ووزنه السياسي ؟

فلقد كانت ولا تزال الحكومات والانظمة في هذه المنطقة تدور حول فلك احدى القوتين العالميتين ، فاذا انفلت النظام من دائرة النفوذ السياسي لأميركا ، فلكي يرتمي في احضان النفوذ الشيوعي ، واذا تخلص نظام من فلك الشيوعية ، فلكي يتراوح بينهما ، او يلعب على الحبلين جميعا .

ولأول مرة تستطيع الثورة الاسلامية ان ترفع في وجه القوتين الكبريين شعار لا شرقية ولا غربية ، وتمارس العمل السياسي ، بموجب هذا الشعار ، وتتخلص من دوائر النفوذ الاجنبية بصورة حقيقية ، وسوف يكون الجيل القادم اكثر قدرة على تقييم هذه الخطوة الجبارة في الثورة

الاسلامية ، وتقييم هذا الركن الهام من اركان خط الامام .

ولقد كانت عوامل غريبة ـ استطاعت ان تدس نفسها ، لفترة ما في خط هذه الثورة ـ تحرص كل الحرص ، وتحاول ان تسرب هذه المفاهيم الغربية والشرقية ، بصورة او بأخرى ، في صلب الثورة ، وتحاول ان تبرر ذلك بمختلف التبريرات ، ولكن وعي الامام وصموده ، ووعي الامة وصمودها ، افشل كل هذه المحاولات ، واستطاع خط الامام ان يجتاز هذه المرحلة ، محافظا على نقاوته ، واصالته وصفائه الفكري ، الذي هو كل قيمته ، والثمن الحقيقي لدماء الشهداء .

* * *

الحالة الاقتحامية لخط الامام:

حالة التصدي للمعتدي ، والمبادرة ، والاقتحام ، من خصائص الثورة . والثورة اذا تخلت عن حالة التصدي والمبادرة ، واقتحام مراكز نفوذ القوى الاستكبارية لا تستطيع ان تواصل حياتها الثورية ، وستتولى القوى الاستكبارية دور المبادرة في ضربها وسحقها ، ولذلك لا بد

ان تكون الثورة حاسمة ، في مسألة التصدي للعدو ، وتتولى دائما دور المبادرة ، ويكون لها اقدام ، وشجاعة في الاقدام ، في هذا المجال . وتعتمد على الله تعالى في المبادرة والاقتحام .

ومن دون هذه الروحية الثورية ، لا تستطيع الثورة ، ان تؤدي دورها الثوري ، في المجتمع وفي التاريخ .

وقد كان خط الامام ، خلال هذه الفترة ، يمتاز بمثل هذه الشجاعة والجرأة ، في التصدي والاقدام ، واقتحام مراكز نفوذ الطاغوت ، وقوى الاستكبار العالمي ، وما يستلزم ذلك من رؤية واضحة ، في المسائل الثورية والحسم والشجاعة العملية ، وقبل ذلك كله الاتكال على الله تعالى .

وكان الامام قائد الثورة يتصف بهذه المواصفات ، ويعمل بهذه الروحية الثورية الاسلامية ، في مراحل الثورة وحتى بعد قيام الدولة .

وبهذا النفس استطاع الامام ان يواصل العمل في الثورة الاسلامية المباركة .

وقد كان في بعض مراحل العمل يشعر بعض كبار

المسؤولين الذين كانوا يتولون مناصب رئيسية في الدولة الاسلامية بالضعف والتردد ، والميل للركون الى العافية . . لولا مواقف الامام الصامدة .

واوضح مثل على ذلك اقتحام دار السفارة الامريكية ، فلولا الامام وموقفه الصامد القوي ، كاد بعض المسؤولين في الدولة الاسلامية في الحكومة الموقتة ان يخذلوا الشباب الطلبة ، السائرين على خط الامام في احتلال السفارة الامريكية والقاء القبض على الموظفين الجواسيس في السفارة الامريكية ، كرهائن لارجاع الشاه ، من اميركا الى ايران ، لمحاكمته واعدامه واسترجاع اموال المسلمين منه الى بيت المال .

وكانت الرؤية السياسية للمعارضين لهذا العمل الذي قام به الطلبة في طهران : ان الدولة الاسلامية وهي تعيش ايامها الاولى ، وادوار نشأتها الاولى لا ينبغي ان تتعرض للتحرش بقوة عالية ، كبرى مثل اميركا وتثيرها للكيد بها ، وتعلن الحرب معها ، وانما يجب على الثورة ان تتلافى الاصطدام بالقوى الكبرى جهد الامكان ، وتحاول ان تعيش بمنأى عن الصراعات السياسية والعسكرية ، ريثما تبني نفسها ، وتقف على قدميها .

وهذا هو التوجيه السياسي المقبول للموقف المتخاذل ، من بعض المسؤولين في الدولة الاسلامية من الذين وقفوا يومذاك موقفا سلبيا ، تجاه قضية رهائن السفارة الامريكية ، وبالنسبة للصادقين منهم في مواقفهم السياسية . .

ولقد كان موقف الامام ورأيه واضحا ، في دعم وتأييد الطلبة السائرين على خط الامام ، الذين احتلوا السفارة الامريكية : ان اميركا لا تكف عن عدوانها تجاه الجمهورية الاسلامية ، ولا تفكر في يوم من الايام ، تعيش مع الجمهورية الاسلامية بسلام ، وفي كل يوم تضع اميركا خطة جديدة لأسقاط النظام الاسلامي الحاكم في ايران ، وفي كل يوم تضع كيدا جديدا لتطويق هذه الدولة الاسلامية ، ومصادرة الثورة الاسلامية ، والسفارة الاميركية ليست الا وكرا نشطا عاملا للتجسس الاميركي في داخل الجمهورية الاسلامية ، وقد اثبتت الارقام والشواهد بعد ذلك هذه الحقيقة ، اذن فلم لا نكون نحن المبادرين بالاقتحام والاحتلال ، وتوجيه الضربة وفضح المؤامرات الاميركية ، وفضحها واسقاط هيبتها السياسية في المنطقة ، وكسر شوكتها . . .

وبهذا المنطق ، كان الامام يؤكد الطلبة في احتلالهم للسفارة الاميركية ، وبهذه الروح تقدم مجموعة من الطلبة المسلمين ليوجهوا صفعة الى الشيطان الاكبر دوخت اميركا ، واسقطت هيبتها في المنطقة .

الربانية والاخلاقية في خط الامام:

ومن اركان هذا الخط وميزاته وخصائصه « الربانية » والارتباط بالله سبحانه وتعالى ، ارتباطا وثيقا قائما على اساس العبودية الحقيقية لله تعالى ، والاخلاص له ، والاتكال عليه تعالى ، في كل الحالات ، وهذا هو قوام الخط واساسه الاول ، ومن دونه لا يبقى لهذا الخط شكل ولا محتوى . والتركيز على هذا الجانب هو المهمة الاولى لكل الانبياء والائمة عليهم السلام ، والدعاة الى الله تعالى ، فان الدعوة الى الله ، وتوحيده بالعبودية هي الحجر الاساس في رسالة الانبياء ﴿ **ومن احسن قولا ممن دعا الى الله ، وعمل صالحا ، وقال انني من المسلمين** ﴾ .

وحركتنا ليست حركة سياسية ، تستهدف اسقاط الانظمة الطاغوتية ، فقط ، وانما تتحرك لتعبيد الانسان لله تعالى ، بعد اسقاط الطاغوت ، وربطه بالله عز وجل ،

وتخليصه لعبودية الله سبحانه .

وقد رافقت الثورة الاسلامية منذ ايامها الاولى بتوجيه وتأكيد من الامام مباشرة ، موجه من التربية الربانية ، والدعوة الى الله والتوجيه اليه عز وجل ، بالدعاء ، والصلاة ، والتضرع ، وتبني دراسة القرآن .

والذي يتتبع مكاسب الثورة الاسلامية يتملكه الاعجاب ، بما حققته الثورة ، خلال هذه الفترة القصيرة ، من توجيه الشباب الى الله تعالى ، ولربما نستطيع ان نعتبر مجالس « دعاء كميل » في ليالي الجمعة واجتماعات صلاة الجمعة ايام الجمعة من اعظم مكاسب الثورة ، وهذه المجالس العامرة ، بالدعاء والتضرع هي المدارس التي تبني الجيل ، لمواجهة التحدي الاميركي والروسي بعزم وثبات واطمئنان . . بالاضافة الى البناء الروحي الذي يتلقاه شبابنا على جبهات القتال ، العامرة بالدعاء والصلاة ، والتضرع ، والبكاء ، بين يدي الله تعالى ، اناء الليل ، واطراف النهار ، والذي يعيد الى ذاكرتنا معارك المسلمين الاولى في بدر واحد وحنين .

* * *

والصفة الاخلاقية والتربوية في الثورة هي الميزة

الاخرى المرتبطة بالربانية ، فان الثورة تمتاز بالاخلاقية ، واعداد الجيل الصاعد لتربية اخلاقية شديدة ، في مكافحة الهوى ، وتهذيب النفس ، وبنائها على اساس من التقوى ، والالتزام الدقيق بحدود الله تعالى .

والذي يتتبع كلمات الامام يجد حرصا بالغاً واهتماما كبيرا ، بخصوص مسألة تهذيب النفس ومخالفة الهوى .

ولا شك ان هذه المسألة تأتي بعد « الربانية » مباشرة في سلم اهتمامات الانبياء عليهم السلام ورسالتهم .

تبني قضايا المستضعفين والمحرومين في الارض:

ومن خصائص خط الامام ، التبني المستمر لقضايا المستضعفين في العالم الاسلامي بشكل جاد ، والدفاع عن مواقعهم وقضاياهم ، بكل الوسائل الممكنة . فان مهمة هذه الثورة تحرير الانسان على وجه الارض . وحيث يتواجد انسان مستضعف او محروم ، يعيش تحت امر الجاهلية واثقالها ، فان على الثورة ان تتولى قضيتها ، وان تجعل هذه القضية في صلب اهتمامها ، ولذلك نجد ان الثورة اعلنت عن مواقفها السياسية تجاه قضايا المستضعفين والمحرومين ، وقضايا العدوان على العالم الاسلامي وعلى

المستضعفين من اول يوم ، بوضوح كاف .

فتبنت القضية الفلسطينية ، بحماس منقطع النظير ، وتبنت القضية العراقية ، والقضية الافغانية ، وقضية المجاهدين في مصر ، وقضية الصحراء المغربية ، والمسلمين في الفلبين ، والحرب اللبنانية ـ الاسرائيلية ، وغير ذلك من قضايا العدوان على العالم الاسلامي ، وشؤون المستضعفين والمحرومين . واذا تخلت الثورة ، لا سمح الله ، في يوم من الايام ، عن مسؤوليتها تجاه قضايا العدوان على العالم الاسلامي وشؤون المحرومين ، فانها تتخلى عن مهمتها ورسالتها السياسية والجهادية الاولى وعن مبرر وجودها .

تلك باختصار اهم ملامح ، واركان ، وخصائص خط الامام ، وللبحث عن مفردات هذا الخط مجال آخر وحديث آخر نرجو ان يوفقنا الله تعالى له .

مَكاسِبُ الخَطّ

الوعي الجماهيري:

قيمة هذا الخط ـ كما ذكرنا ـ ليس فقط في محتواه الفكري والسياسي والجهادي ، وانما في انبثاقه عن عمق الوجدان الشعبي ، ومن داخل آلام الامة ، وآمالها ، وعذابها ، وتضحياتها ، وطموحاتها ، وحضارتها ، ورسالتها .

ولهذا السبب ، بالذات ، فقد تبنّى جمهور الشارع الاسلامي خط الامام ، بوعي ، وبصيرة ، وبكامل ابعاده الفكرية ، والسياسية ، والجهادية ، ونزل الخط وما يستتبعه من وعي ورؤ ية سياسية الى الشارع .

والوعي السياسي ، في الغالب ، يخص طبقة ممتازة في

المجتمع هي « النخبة الواعية » ، ويبقى له تأثيره وتحريكه في داخل الامة ، ذلك بفعل « النخبة » . فاذا انتقل الوعي من هذه الطبقة الى الشارع ، ونزل « الوعي والخط السياسي » الى الشارع بكل ابعاده وحدوده ، من غير عوج ، ولا انحراف . . . تحول الخط والوعي الى قوة محركة هائلة ، وقدرة سياسية كبيرة . وقلما يكون ذلك .

والذي حدث في الثورة الاسلامية المباركة ، ان هذا الوعي السياسي نزل ضمن خط الامام الى مستوى الجمهور ، وتبنت الامة خط الامام بوعي وبصيرة وبكامل ابعاده . وبكل اصالته . فأصبح ابن الشارع يفهم شعار « لا شرقية ولا غربية » فهما سياسيا واضحا ، ويعرف عن خبرة وبصيرة ، خطر وضرر الارتماء في احضان الشرق والغرب ويدرك قيمة الاستقلال الفكري والسياسي ، « ودور الجهاد والتضحية في تحرير الامة » ، وقيمة « التصدي للطاغوت » ، ومعنى « **ولاية الفقيه** » .

وهذه المعرفة الواعية ، والرؤية الصافية لمسألة الخط كانت لها آثارا ايجابية كبيرة ، في نجاح الثورة وتقدمها ، وفشل المحاولات المعادية للثورة .

فقد تبنت الامة الدفاع عن الثورة التي آمن بها

وبخطها ، وتحملت ضريبة هذا الدفاع بصدق ، ولم ينسحب من موقع تقدمت اليه ، مهما كانت الضريبة ثقيلة ، ودفعت ضريبة الخط براحة وانشراح ورضاء وشمل هذا المستوى العالي من الوعي كل طبقات الامة .

وما اكثر ما تجد في خضم الثورة امّا قروية ، تعيش في الريف ، تستقبل جنازة ابنها الشهيد بتغريدة الامهات اللاتي يزففن ابنائهن الى خدر اعراسهم ، وتدخل جنازة ابنها بيديها الى داخل قبره وتطبع على خده قبلة الوداع ، بكل سرور ورضى ، وكأنها تودعه الى رحلة قريبة او سفر يسير ، ثم تقدم الحلوى على قبر ابنها ، وتعد نفسها لاستقبال التهاني ، كما يتقبلن الامهات التهاني عندما يقدمن اولادهن الى اعراسهم ، ويستنكرون ، بصدق وجدّ ، من يقدم اليهن العزاء .

ان الامة المسلمة هنا تعمل كل ذلك براحة ورضى وانشراح ولا تحسب انها عملت شيئا .

وليس هذا العمل الجبار ينبثق عن عاطفة تجاه الثورة ، فلقد رأينا العواطف وتأثيرها ودورها كثيرا ، وليس بمقدور العاطفة ان تصنع مثل هذه المعجزات في حياة الانسان . . وانما هو وعي ، وبصيرة ، وثقة ،

وايمان ، ووضوح ما بعده وعي ووضوح استقر في قلب هذه المرأة البسيطة الساذجة ، وجعل منها اسطورة في التضحية ومعجزة في الشجاعة ونسيان الذات .

وكذلك يفعل الايمان عندما يستقر في القلوب الواعية .

* * * * *

هذا الوعي للخط ، وعلى مستوى الشارع والريف هو - بالتأكيد - من اهم اسباب وقوف الامة الى جانب الثورة ، وحمايتها للثورة ودفاعها عنها .

فلم يقف اندفاع الامة ، ولم يبرد حماسها في التضحية والجهاد والعمل عند سقوط الشاه ، وانما استمر هذا الحماس والاندفاع ، وتصاعد في خط صاعد ما بعد الثورة واجتاز بدرجات عالية من القوة والفاعلية كل العقبات ، واحدة تلو الاخرى .

وهنا تبرز قيمة (الخط) في الثورة ، فان الكثير من الثورات الشعبية التي ادت مهمتها في اسقاط النظام آل امرها الى الضعف والبرود والانحراف والتمتع .

وليس لنا مثل اوضح من الثورة الفرنسية

(١٧٨٩ م) . فقد كانت هذه الثورة ثورة نابعة من عمق وجدان الشعب حقيقة ، ولكن هذه الثورة سرعان ما آل امرها الى الانحراف ، وحلت دكتاتورية جديدة ، محل الدكتاتورية السابقة ، وطبقة منتفعة محل الطبقة المنعمة سابقا ، وتولى بونابرت الحكم في فرنسا بأطماع توسعية عسكرية ، وافسد في الارض ، واوغل في الفساد والسبب في ذلك ـ في بعض الحدود ـ ان هذه الثورات لا يرافقها خط سياسي سليم ، يستوعب الشعب ويملكه ، وانما يمتلك الشعب في الاندفاع لأسقاط النظام والتضحية عاطفة ثورية وشعور بالحرمان والظلم من دون وعي وخط سياسي مفهوم ومقبول ، من قبل ابن الشارع .

وامد هذه العاطفة ومفعولها محدود بسقوط النظام ، فاذا سقط النظام الحاكم خمد الحماس وامتص سقوط النظام كل النقمة والعاطفة ، وانعزلت الثورة عن الشعب والشعب عن الثورة ، فيسهل عند ذلك على المنتفعين ، وهم كثيرون تحريف الثورة الى خدمة مصالحهم واطماعهم .

اما الثورة الاسلامية فكان لها شأن آخر ، وهذا الشأن هو من نتائج وآثار وجود (خط الامام) داخل الثورة وفي

وجدان الامة ووعيها .

فلم تكن عاطفة ناقمة وغاضبة هي التي اهاجت الناس في ايران وانزلتهم الى الشارع ، وحركتهم باتجاه اسقاط النظام ، وانما كان وعي سياسي اسلامي سليم ، ورؤية سياسية وخط سياسي تصدر عنه العاطفة وهذا الوعي والخط هو الذي حفظ الناس في جانب الثورة ، وابقاهم في خط الدفاع الاول للثورة منذ انفجار الثورة الى اليوم ، والى ان يستقر حكم الله على وجه الارض كافة بقيادة الامام المهدي عجل الله فرجه ان شاء الله .

فقد كانت الامة تشعر من خلال ايمانها بالخط : ان لها قضية ، وقضيتها لم تنته باسقاط النظام ، وبقي ابن الشارع يشعر بعمق مسؤوليته ، في حماية الثورة من كل دعاة التحريف واصحاب المطامع السياسية والانتهازيين طيلة هذه الفترة ، وكان هذا الشعور الواعي والصادق يتطلب منه الحضور الدائم والواعي في الساحة السياسية والمراقبة الواعية بعينين نافذتين لكل ما يجري في الساحة .

احباط المؤامرات وفرز الخطوط:

وهذا الحضور والمراقبة الواعية كان من اهم الاسباب

في فشل المؤامرات الداخلية والخارجية ، التي كان يحيكها اعداء الثورة الاسلامية ، لتطويقها ومصادرتها واسقاطها .

وكان من اهم الاسباب في فرز الخطوط ـ اذا كان هناك خط سياسي آخر ـ وعزل الخطوط الاخرى ، واصحاب المطامع ، والانتهازيين عن صلب الثورة ، وحصرهم في الزاوية ، ثم اسقاطهم ، باذن الله .

ورغم ان اميركا قد حاولت المستحيل في الكيد بالثورة ، وخططت لمؤامرات ذكية ، واستعملت في ذلك كل قدرتها ، ونفوذها وسلطانها المالي والسياسي والعسكري ، ولم تأل جهدا في ذلك . . . الا ان الحضور الواعي للامة ، في الساحة السياسية ، والمراقبة الواعية للامة احبطت كل هذه المحاولات وافشلتها .

ولا شك ان هذا الحضور الواعي والمراقبة الواعية في الساحة حصيلة ايمان الامة ، وتبنيها العميق لخط الامام والتحامها به .

الخط والموقف:

والخط هو الذي يصنع الموقف ، وكذلك حدث في الثورة الاسلامية . فقد كان وضوح الخط ، والتزام

الخط ، من قبل جماهير المؤمنين ، مصدرا لكثير من المواقف السياسية الصلبة .

فلكل ثورة ، ولكل حركة شعاراتها ، ولكن عندما تقترن الثورة والحركة بخط ثوري ، حركي ، واضح ، مفهوم وملتزم من قبل الامة ، تتحول هذه الشعارات الى مواقف .

ولقد حدث مثل هذا في الثورة الاسلامية ، فارتفعت خلال الثورة مجموعة من الشعارات الثورية والجهادية ، وتحولت خلال الثورة هذه الشعارات ، بفضل ايمان الامة والتزامها بخط الامام ، الى مواقف سياسية وجهادية رائعة وبطولية .

نذكر منها الموقف من الدعاة الى التسامح السياسي مع الدول الاستكبارية ، والتنازل عن المواقف السياسية المبدأية .

وقد رفعت الامة ، امام الدعوة الى هذه التنازلات ، في مسيرة تشييع الشهيد الدكتور بهشتي : (**نقاتل ونموت ، ولا نتنازل**) . ورفعت الامة تجاه الدعوة الى السلام مع النظام العراقي وايقاف الحرب (**حربا ،حربا، حتى النصر**) . . ومن عجب ان الامة وقفت عند شعاراتها وقفة

صامدة ، وحولت هذه الشعارات الى مواقف سياسية صلبة ، ووقفت عند هذه المواقف ، ودفعت ضريبة الموقف ، وليس من شك ان قيمة العمل السياسي بالموقف ، وليس بالشعار ، وما لم يتحول الشعار الى موقف لا تستطيع الثورة ان تحقق اهدافها .

ووجود خط سياسي سليم وواضح ، والتزام هذا الخط من قبل الامة ، من اقوى العوامل في صناعة المواقف السياسية .

خَط الإمَام
وَالإنتهَازِية السِّيَاسِيَّة

ولا بد لنا في هذه العجالة ، ان نشير الى مقارنة سياسية بين خط الامام والخطوط السياسية الاخرى ، التي كانت تنافس خط الامام على قيادة الساحة واستيعابها ، ـ ان صحت تسميتها بالخطوط ـ ولا نريد بهذه المقارنة الناحية الفكرية ، والمحتوى الفكري ، وانما نريد بالمقارنة الموقف السياسي المبدئي فقط ، بغض النظر عن محتوى هذه المواقف والمبادىء .

فنقول من الصعب ان نصحح تسمية الخطوط السياسية ـ اليمينية واليسارية ـ المنافسة لخط الامام ، بخطوط سياسية تملك مواقف مبدأية محددة .

فقد كانت هذه الخطوط ، في الغالب ، تشكل اتجاها انتهازيا مقنّعا بقناع سياسي ومبدئي ، ومتبنى من قبل افراد

وجهات تملكهم مطامع سياسية اكثر من اي شيء اخر .

ولربما نستطيع ان نقول : ان اوضح واقوى هذه الخطوط الحزب الشيوعي الايراني (تودة) ، الذي كان يملك تاريخا طويلا في العمل السياسي، وحاول الحزب الشيوعي ان يكيف نفسه مع خط الامام ، في شطر من عمر الثورة ، ولا شك ان الحزب الشيوعي وجد حرجا كبيرا في هذه المحاولة ، فقد كان الحزب ينادي قبل ذلك بان الدين افيون الشعوب ، ويرفع هذا الشعار بوجه الدين ، ومن الصعب مع ذلك ان يكيف نفسه اليوم مع خط سياسي اسلامي قائم على اساس الدين ، ويعترف بالقيادة الدينية الاسلامية في الساحة السياسية ، والحزب الشيوعي ، من الناحية الايدولوجية ، يقوم على اساس الحادي ، رافض لفكرة الايمان بالله . ومن الصعب ، مع هذا التصور ، ان ينسجم الحزب مع خط سياسي يعتمد الايمان بالله تعالى مبدأ واساسا لكل عمل وحركة ، وكان بين الحزب الشيوعي والاوساط الاسلامية صراع وخلاف فكري قديم ، وحواجز نفسية وفكرية واجتماعية ، ومن الصعب مع ذلك اجتياز هذه الحواجز ، وتناسي الخلافات والانسجام السياسي مع خط تتبناه القيادة الاسلامية .
ومع ذلك فقد وجد الحزب الشيوعي الايراني نفسه بين

خيارين : اما العزلة الكاملة عن الساحة السياسية وعن الامة ، واما الانسجام مع خط الامام ، فآثر الحزب الخيار الثاني .

ولكن هل كان الحزب الشيوعي مبدئيا في هذا الموقف ؟ بالتأكيد لا ، كما لم يكن الحزب مبدئيا في مواقفه السياسية السابقة ، فقد وقع كبار الشيوعيين الماركسيين في احضان النظام الملكي ، عندما طال بهم الامد ، كما حدث ذلك في العراق ، وتناسى الحزب مواقفه المبدأية ضد النظام الملكي .

والذي حدث في الثورة الاسلامية ان الحزب الشيوعي تخلف عن الشعار والمواقف الذي التزم به الحزب تجاه خط الامام . فكان الحزب يعلن الانسجام مع خط (لا شرقية ولا غربية) ، وفي الخفاء يقيم اقوى العلاقات التجسسية واحطها مع الاتحاد السوفيتي ، ويتجسس على مرافق واعمال الجمهورية الاسلامية لصالح الاتحاد السوفيتي ، كما اعترف بذلك اقطاب الحزب الشيوعي ، الذين « القي عليهم القبض بالجرم المشهود » .

اذن لم يكن الحزب الشيوعي يملك مواقف مبدئية سياسية في دور النظام الملكي ، وبعد ذلك في عهد الثورة

والدولة الاسلامية ، وانما كان الحزب يتخذ من خط الامام قناعا سياسيا ، يعطي به مآربه ومطامعه الحقيقية ، للوصول الى الحكم .

وما يقال عن الحزب الشيوعي ، يقال عن كثير من الاحزاب والخطوط اليمينية ، واليسارية ، والقومية ، والوطنية ، والاسلامية ـ الماركسية الاخرى .

فقد كانت هذه الخطوط في الغالب تمثل نحوا من الوصولية والانتهازية السياسية ، ولذلك سرعان ما كشف خط الامام ، والمبدئية السياسية الصارمة في خط الامام الاوراق السياسية لهذه الخطوط غالبا وعزلها عن الساحة والجمهور .

ومن عجب ان خط الامام لم يتزحزح عن مواقعه ومواضعه السياسية قبل الحكم وبعد الحكم ، والذي يتتبع المواقف السياسية ، لخط الامام بعد الحكم ، لا يجد تغييرا في مواقع ومواقف خط الامام طوال هذه الفترة .

ومن الملحوظ ان الخطوط الثورية تتخلى عن كثير من مواقفها السياسية بعد الوصول الى الحكم فيتحوّل النظام الثوري ، بعد الوصول الى الحكم الى ثورة ودولة ، ولكل منهما مصالحه وحدوده ، فاذا كانت الثورة لها متطلبات

سياسية مبدئية صارمة ، فان للدولة ايضا حاجاتها ومتطلباتها ايضا ، وهي من نوع آخر تتطلب لينا وتكيفاً وانسجاماً مع الواقع تتطلبها مصالح الدولة .

ان الذي حصل في الغالب ، في الانظمة الثورية الحاكمة ، شيء يشبه هذا الامر . ونحن لا نشك في ان للدولة مصالحها ومتطلباتها ، التي قد تختلف نوعا ما عن مصالح الثورة ومتطلباتها ، ولكننا نعتقد ان هذه القاعدة اتخذت من قبل كثير من الانظمة الثورية واليسارية جسرا للانتهازية السياسية ، ومن حقنا ان نضع علامة الاستفهام ، امام كثير من التصرفات السياسية للاحزاب والفئات والدول الثورية واليسارية ، كالاتحاد السوفيتي والصين ، ولا نستثني بعض المنظمات الفلسطينية ، التي انسجمت مع قرارات مؤتمر فاس وتخلت عن مواقعها السياسية .

ان الميزة البارزة لخط الامام الثبات السياسي ، الصامد على مواقفه المبدئية ، تجاه كل القضايا السياسية ، فلم يحدث مثلا تغيير في موقف الثورة بعد الحكم تجاه القضية الفلسطينية ، او تجاه رفض الانتماء الى الشرق او الغرب .

وهـذه من خصائص خط الامـام البارزة ، واذا وضعنـا هذه الخصيصة السيـاسية ، بـازاء المواقف الانتهـازية لكثـير من الاحـزاب والفئـات والـدول الثـوريـة ، نعـرف عمق مبدئية خط الامام ، والسائرين على هديه .

تصدير الخط

مسألة التصدير ، بالنسبة الى الثورة وخط الامام مسألة اساسية ومصيرية ، فان حياة الثورة بنموها ونموها بتصديرها ، واذا توقف تصدير الثورة توقف نموها ، وتوقف النمو بالنسبة الى الثورة يعني الموت .

فأذن التصدير للثورة : بحكم التنفس للكائن الحي ، اذا انقطع عنه مات .

وليس معنى تصدير الثورة الغزو والاحتلال العسكري كما يقول اعداء الثورة ، وانما نعني بتصدير الثورة تصدير خطها ، وتبليغ خط الامام وتوعية المسلمين المستضعفين والمحرومين بهذا الخط .

ومهمتنا الاساسية في هذا المجال ، في العالم الاسلامي

هو ايجاد وعي سياسي لخط الامام ، في العالم الاسلامي وبين صفوف المحرومين .

ان الثورة لا تقف في مكانها ، فأما ان تتقدم وتأخذ بالنمو ، او تتضاءل وتأخذ بالذبول .

فنحن اذن لا خيار لنا تجاه تصدير خط الامام ، فان التقاعس عن تصدير خط الامام ، يعتبر تقاعسا في مسؤ وليتنا تجاه الثورة بين يدي الله تعالى .

ان عشرات الالاف من الشهداء والجرحى والاسرى والمعوقين والثكالى ادّوا بصدق واخلاص ، مسؤ وليتهم تجاه هذه الثورة ، واحسنوا الاداء ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، والقوا علينا مسؤ ولية بلاغ هذه الرسالة .

وليس هنالك من حدود اقليمية ، او قومية للوعي والخط ، واذا كانت الدولة تتحدد ضمن حدود جغرافية فليس للثورة والوعي والخط حدود قومية او جغرافية او وطنية .

وعليه فان علينا ان نحمل رسالة هذا الخط ، الى كل المسلمين وكل المستضعفين ، ونعلمهم كيف يحررون انفسهم ، وكيف يكسرون الاغلال من ايديهم وارجلهم ، وكيف يتخففون عن الأمر ، الذي يثقل كاهلهم ، وكيف

ينتفضون ، ويقومون مثنى وفرادى لله في وجه الطاغوت ، وكيف يستعيدون شخصيتهم وكرامتهم واستقلالهم ومصادر الثروة الطبيعية في بلادهم وعلينا ان نكسر الحواجز السياسية والعسكرية ، التي تحجب صوت الثورة عن المستضعفين والمحرومين باي شكل ، وباي ثمن ، ومهما كان الثمن ، وان كان الثمن القتال .

فنحن لا نريد الحرب ، ولا نتمنى ان نعيش في حالة الحرب ، ولكننا لا نسمح لأحد ان يحول بيننا وبين اداء رسالتنا الى الناس ، فاذا اصطدمنا بحاجز ، وعجزنا ان نرفعه بالتي هي احسن ، لم نتردد لحظة واحدة ان نواجه الكيد بمثله ، والنار بالنار ، لنفتح الطريق ، ونقول كلمة الله تقال للناس .

* * *

قيمة الخط
في حياة الناس

قلنا ان خط الامام لا يزيد على ان يكون تسمية جديدة ، في حياتنا السياسية المعاصرة ، والا فان مسألة الخط قديمة اسما ومحتوى .

فمن ناحية المحتوى ، يأتي خط الامام امتدادا لدعوة الانبياء عليهم السلام ، ورسالتهم ، وطريقتهم ، ودعوة ائمة المسلمين ، والمجاهدين والصديقين ، والعاملين ، على امتداد التاريخ . وخط الامام يشكل الامتداد الطبيعي ، لهذا الخط العريق العميق في التاريخ .

ومن ناحية الاسم ، فان القرآن الكريم يعبر عن الخط الرباني ، في حياة الانسان بـ « **الصراط المستقيم** »، ويعطي الاسلام لمسألة الصراط المستقيم ، في حياة الانسان ، اهمية فوق العادة .

ويكفي للتدليل على هذه الحقيقة ان نقول : ان الدعاء الوحيد ، الذي يجب على الانسان ان يكرره في اليوم عشر مرات في صلاته هو ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾، ولا اعرف الان دعاء آخر ، يجب على الانسان ان يدعو به بصورة يومية رتيبة غير هذا الدعاء ، عدى الصلاة على محمد وآل محمد .

ويقارن القرآن الكريم بين اولئك الذين يعيشون على غير هدى وبصيرة ، في متاهات الحياة ، والذين يسيرون على هدى وبصيرة على الصراط المستقيم . فيقول : ﴿ **افمن يمشي مكبّا على وجهه اهدى ام من يمشي سويّاً على صراط مستقيم** ﴾[1] وواضح ان الذي يمشي مكبا على وجهه ، مطرقا برأسه الى الارض تكثر العثرات في سيره ، ولا يستطيع ان يعرف الطريق ، وهذه حالة العمى والاعراض والغفلة في الانسان . اما من يمشي بقامة سوية على الصراط المستقيم ، فلا يعثر ولا يتيه .

وفي سورة هود ﴿ **مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون** ﴾[2]

---

(١) الملك .

(٢) هود ٢٤ .

وكيف يستوي الاعمى والاصم والبصير السميع ان الاول لا يكاد ان يميز شيئا مما حوله ، والثاني يكاد ان يمتلىء وعيا وبصيرة ، وفهما ، وادراكا لما حوله ، والاول هو الذي يعمل من غير هدى على غير صراط مستقيم والثاني هو الذي يسير هدى وبصيرة من دينه وعلى صراط مستقيم .

ليس من المهم ان يعمل الانسان فقط او يتحرك ، وانما المهم ان تكون حركته على الصراط المستقيم ، وان القليل من العمل ، على هدى ووعي وخط ، خير من كثير لا يستقيم على الصراط المستقيم .

ان هاجس العمل يكاد يتملك الكثير من العاملين ، وهو حق ، وصحيح ، ولكن مسألة تبني الخط ، والتأكد من ان الانسان يضع خطاه على الصراط المستقيم ، تأتي قبل العمل والحركة .

فما اكثر الاعمال والتحركات التي جرّت اصحابها الى عذاب الله ، واستدرجت القائمين بها الى اسفل درك من الجحيم .

سمع امير المؤمنين (ع) رجلا من الحرورية يتهجد ويقرأ فقال (ع) : « نوم على يقين خير من صلاة في شك » .

لذا نجد ان الاسلام يعطي هذا الدور الكبير ، والقيمة الفائقة لمسألة (الصراط المستقيم) حتى يوجب الدعاء للاهتداء اليه ، وتكرار هذا الدعاء مرات عديدة في اليوم دون غيره من الادعية رغم اهميتها .

فقد يعمل الانسان ، ويعمل بجد ، وبحرارة وحماس ، وبصورة متواصلة ، ولكن لا يزيده عمله الا بعدا عن الله تعالى ، وذلك انه يعمل بعكس الصراط .

فكلما يتحرك اكثر يزيد بعدا عن الله عز وجل . . وليس مثل « منظمة مجاهدي الشعب » عنا ببعيد ، الذين قضوا اشطرا من حياتهم السياسية ، يحاربون الشاه ، ويتحملون الوان العذاب والمطاردات والسجون من قبل بوليس الشاه ، والسجون ثم آل امرهم الى ان حملوا السلاح بوجه الثورة الاسلامية ورجالها وقادتها ، وتحولوا الى معول للهدم .

ولذلك ينبغي للعاملين ان لا يغرهم عملهم ، وان يتأكدوا في كل لحظة انهم يضعون خطاهم على الصراط المستقيم ولا يخرجوا عن صراط الله ، الى متاهات الهوى والشيطان .

وكلما يكون موقع الانسان العامل اكثر حساسية

وعمله اكبر ، يكون تعرضه للانزلاق واستهداف الشيطان اكثر ، وعليه ان يبذل جهداً اكثر في طلب البصيرة والوعي والفقه في الدين .

فقد كان الامام علي بن الحسين (ع) يطيل القعود بعد المغرب ويسأل الله اليقين ويقول ان الله تعالى لا يرزق احدا رزقا ، اجلّ من نعمة اليقين والبصيرة ، على ان نعم الله تعالى كلها جليلة .

وعن الوشا عن ابي الحسن عليه السلام : قال سمعته يقول الايمان فوق الاسلام بدرجة ، والتقوى فوق الايمان بدرجة ، واليقين فوق التقوى بدرجة ، وما قسم بين الناس شيء اقل من اليقين .

واليقين والبصيرة والوعي كل ذلك يتعلق بخط تحرك الانسان ، قبل اي شيء آخر .

ولهذا كله ، تأتي قيمة اليقين بالخط ، والوعي والبصيرة ، والفقه من حياة المؤمنين العاملين ، في الدرجة الاولى من قضايانا ، وتأتي المسائل الاخرى بعد ذلك .

الإرتباط العاطفي والواعي بخط الإمام

ان مسألة الارتباط ، والانشداد الى الخط والصراط المستقيم ، مسألة في غاية الاهمية فان شخصية الامة ، وسلامتها ، واستقامتها ، وصلابة مواقفها كل ذلك مرتبط بالتزامها بصراط الله المستقيم ، فلا بد اذن من الاهتمام بتعميق الصلة بين الامة والخط « الصراط المستقيم » .

والارتباط بالخط ، يكون على شكلين الارتباط العاطفي والارتباط الواعي العقلاني .

وكلاهما مهمان ، في اعداد وتربية الانسان المؤمن .

الارتباط العاطفي:

الارتباط العاطفي ، هو انشداد المؤمن الى الصراط

المستقيم ، من خلال الاجواء العاطفية ، التي تشده الى خط الانبياء ، والائمة عليهم السلام ، وصراط الصالحين من عباد الله ، والمجاهدين العاملين .

وهذه الاجواء لا شك انها ذات آثار ايجابية ، في بناء شخصية الانسان المؤمن والتحاقه بالخط .

ان الاحتفالات بمناسبات اهل البيت عليهم السلام والمناسبات الاسلامية التي تخص شخصيات اسلامية ، من العوامل الايجابية المفيدة ، في انشداد الانسان المؤمن بهذه القافلة المباركة ، من العاملين في سبيل الله السائرين على صراط الله المستقيم .

وكذلك زيارات مراقد اهل البيت عليهم السلام والانبياء ، والاولياء ، والعلماء ، والمجاهدين ، من العوامل المهمة في الانشداد الى هذا الخط ، والصراط العميق في التاريخ ، الذي ينتظم عليه كل خطى العاملين المخلصين ، والاتقياء الابرار .

وفي مقدمة هذه العوامل ، اقامة مجالس عزاء الحسين عليه السلام فان هذه المجالس وما يجري فيها من ذكر مأساة الطف على الطريقة الشعبية المألوفة ذات تأثير كبير في انشداد المؤمنين ، الى طريق الحسين وصراطه وخطه ،

وقلما نجد عاملا تربويا آخر ، يعوض عن هذا العامل ويحل محله .

ونحن العاملون مدينون بالكثير ، لهذه المجالس من سلامة امتنا وسلامة خطنا ، خلال هذه الفترة الصعبة ، التي غزتنا فيها الحضارة الغربية ، واقتحمت بيوتنا ، ومدارسنا ودوائر اعمالنا ، واجتماعاتنا . فكانت مجالس الحسين عليه السلام هي احدى اهم واقوى الحصون ، التي حصنت الامة وخطها خلال هذه الفترة ، من غزو الحضارة الغربية ، عندما تهاوى امام هذا الغزو الكثير من المعاقل والحصون .

فهذه الاجواء الاسلامية ، الاحتفالات ، والزيارات ، ومجالس العزاء ، وقراءة النصوص الواردة في الزيارة وكذلك زيارة العلماء والمجاهدين الاحياء والاحتفاء بهم وهكذا المسيرات والتظاهرات . . . كل ذلك عوامل ايجابية فعالة ذات تأثير عاطفي كبير في التحام الانسان المؤمن بخطه وصراطه المستقيم وسلفه الصالح ، وتحسيسه انه عضو في هذه الاسرة المباركة ـ اسرة الانبياء والمرسلين والائمة وعباد الله الصالحين ، وانه خلف لذلك السلف الصالح وامتداد لهم ، يجري على خطهم ، ويسعى على

هداهم ، وعليه ان يسعى لحماية هذا الخط وسلامته ، والاّ ينحرف عن طريقهم وصراطهم ، وان يضع خطاه حيث كان يضع اولئك خطاهم ، على الصراط المستقيم ، ويحافظ على ارتباطه بهم ، ويسعى ان يكون امتدادا لهم .

ان السلفية المتطرفة في افضل الحالات ، واذا احسنا الظن بها ، لم تدرك قيمة وحقيقة ومغزى هذه الاجواء العاطفية ، وتأثيرها النفسي الكبير ، في انشداد الانسان المسلم برسالته وسلفه واسرته الكبيرة .

على اننا نجد ما يبرر لنا سوء الظن ببعض رجال هذا المذهب في مكافحة هذه الاجواء الاسلامية الغنية والمباركة ، ومحاربة زيارة المراقد ، واقامة الاحتفالات والمسيرات ، بحجة انها بدعة !! . . ولا نستبعد ان يكون الهدف من ذلك كله قطع صلة الامة ، بابعادها وجذورها التاريخية ، وقطع هذه الجذور ، وبتر هذه الارتباطات والصلات ، لتتحول هذه الامة الكبيرة ، ذات الجذور العميقة المباركة في التاريخ ، الى امة مبتورة الجذور ، مجتثة من فوق الارض . . .

قانون علاقة العمل بالايمان:

وهناك حقل خصب آخر ، من حقول الارتباط

العاطفي بالخط ، وهو حقل العمل والتضحية . فان عمل الانسان وجهاده وتضحيته في سبيل الله ، وعلى الصراط المستقيم ، يتحول بصورة مباشرة الى ايمان بالخط ، ووعي وبصيرة ويقين وثبات .

وكلما يزداد عمل الانسان وتحركه على الخط وترتفع درجة تضحيته وتعبه على هذا الصراط ، يزداد انشداداً والتحاماً بالخط ، وحباً له ، ويقينا به فتتحول الحركة الى عاطفة حب ، ويقين في العقل ، وثبات في العمل .

ونحن نجد لهذا القانون نظائر كثيرة في حياة الانسان ، فالأم كلما تبذل جهدا اكثر في تربية ابنائها ، تزداد الأم حبا لهم ، وليس اختلاف درجة عاطفة الأم تجاه ابنها ، من يوم ميلاده الى يوم يشب سويا ، الا نتيجة ارتفاع درجة البذل والعطاء والتضحية من الأم ، فتتحول جهود الأم وتضحيتها الى حب وعاطفة وتعلق باولادها ، يزداد بصورة مطردة .

وهذا القانون يجري بصورة اعمق ، في صلة الانسان بالخط ، فكلما يزداد عمله وجهاده وتحركه وتضحيته ، للدفاع عن الخط ، يزداد ايمانا به وبصيرة وهدى ويزداد تعلقا به ، وثباتا عليه فيتحول هذا الجهد الى عاطفة ويقين

وثبات .

وهذه المعادلة القائمة ، بين العمل والايمان ، من اكثر المعادلات تأثيرا في حياتنا اليومية .

ونحن نجد اليوم ، في ساحة الثورة الاسلامية ، شاهدا حيا على هذه الحقيقة . فقد استطاعت الثورة ان تنجب وتربي ، خلال هذه الفترة القصيرة من عمرها ، جيلا من الشباب المراهقين والشابات المراهقات ، من المؤمنين والمؤمنات ، والمخلصين والمخلصات ، والطائعين لله والطائعات ، ممن رزقهم الله هدى وبصيرة وتقوى واخلاصا ، يندر وجودهم في الاجيال السابقة .

وليس من شك ، ان الثورة الاسلامية ، لم تكن تملك القدرة التربوية الكافية لاعداد هذا الجيل ، بهذا المستوى الروحي والعقلي والايماني الرفيع .

فأين نشأ هؤلاء اذن ؟ ومن الذي رباهم ؟ وفي اية مدرسة تخرجوا ؟ وعلى يد من نشأوا ؟ وكيف قطعوا هذه المراحل والاشواط البعيدة ، خلال هذه الفترة القصيرة ؟ وفي هذا السن المبكر ؟

تلك اسئلة يقف امامها الجيل الهابط ، الذي لم يألف هذه القفزات الايمانية الكبرى في حياة الانسان حائرا .

والجواب : ان المواجهة الحادة ، لقوى الاستكبار العالمي ، وامتداداته في المنطقة ، والمنافقين واعداء الثورة . . المواجهة لهؤلاء جميعا ، والعمل والتضحية الحقيقية ، التي قام بأعبائها هذا الجيل الصاعد المبارك ، خلال هذه الفترة ، بدموعه ، ودمائه ، وعرقه ، وجهده ، وسهره ، هو الذي رفعه الى هذا المستوى الرفيع ، من الايمان والوعي والاخلاص والثبات ، وهو الذي شدهم بهذه الصورة المحكمة المصيرية بخط الامام ، وربط مصيرهم بمصير الثورة الاسلامية .

الارتباط الواعي:

والى جانب الارتباط العاطفي بالخط ، هناك نوع آخر من الارتباط ، وهو الارتباط الواعي بالخط . ويتلخص في فهم الخط وادراكه بصورة واعية وعقلانية .

وهذا اللون من الارتباط يحتاج الى عمل فكري تثقيفي ، وجهد علمي ، من قبل الدعاة العاملين في سبيل الله ، لتقديم خط الثورة الاسلامية بصورة علمية ومقبولة . الى جيل الثورة ، وكذلك العمل لأسقاط واحباط الخطوط الفكرية والسياسية الاخرى ضمن جهود علمية .

وعلى العاملين في سبيل الله ، ان يستفيدوا من كل الفرص ، لتقديم هذا الغذاء العقلي الى جيل الثورة ، الذي تناط به مهمة المحافظة على خط الثورة الاسلامية وسلامتها ونقاوتها ، وذلك كفرص المحاضرات والدروس والخطب والمجالس الحسينية ومنابر الوعظ والارشاد ، واستغلال اجهزة الاعلام بصورة واسعة لهذا الغرض .

على اننا نحب ان نقول ، ليست الدراسة والعلم هو كل شيء ، في تحصيل البصيرة واليقين . وان التقوى باب واسع ، من ابواب اليقين والمعرفة في حياة الانسان ، والانسان الذي يتقي الله تعالى ، ويضبط رغباته واهواءه ، في حدود الله ، ويحدد تصرفاته ، بحدود الله (الحلال والحرام) يرزقه الله تعالى بصيرة وهدى ويقينا ويثبته على الحق يقول تعالى ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾ .

يقول امير المؤمنين عليه السلام (واعلموا انه من يتق الله يجعل له مخرجا من الفتن ونورا من الظلم) .

وهذا قانون آخر في علاقة التقوى باليقين والايمان ، يحتاج الى دراسة اوسع في غير هذا المجال .

* * *

مَعَالِمُ الخَطِّ
وَمَصَادِرُهُ

معالم الخط:

ولا بد لكل خط وطريق من معالم يهتدي بها السائرون ، ومن دون وجود معالم على الطريق لا يهتدي الانسان الى شيء .

فما هي المعالم على الخط (الصراط المستقيم) ؟

ان القرآن يوضح هذه المعالم ، بايجاز ، في سورة الفاتحة ، وبعد الدعاء بـ (اهدنا الصراط المستقيم) يأتي مباشرة ايضاح معالم هذا الصراط ، وعلاماته وادلته بقوله تعالى : ﴿ **صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ فان العلامة المميزة ، التي تهدي الى الصراط المستقيم ، هو السائرون على هذا الصراط ،

والسالكون له . فاذا اختلط السبل عليك ، فاتبع خطى الذين انعم الله عليه من الانبياء ، والمرسلين ، والائمة ، والفقهاء ، والمجاهدين ، وغيرهم من عباد الله الصالحين .

وعلامة هذا الصراط ، ان تجد عليه هذه النخبة الصالحة من عباد الله ، وان خير ما تطمئن به النفوس ان يجد الانسان على هذا الصراط امثال ابراهيم ونوح وموسى وعيسى ورسول الله محمد صلى الله عليه وآله وعليهم ، فتستقر نفس الانسان وتطمئن ، ويثق بسلامة الخط والصراط .

ويضع الانسان على كل طريق ، يسلكه المغضوب عليهم والضالون ، علامة استفهام وانكار ويأخذ حذره منه .

وخلاصة الحديث ان خير علامة ومعلم للصراط ، هو سالكه والعامل عليه . . واذا التبست الخطوط على الانسان ، فلا يلتبس عليه الناس ، ولا يصعب عليه ان يميز دين ابراهيم عليه السلام ونمرود ، وموسى عليه السلام وفرعون وجلاوزته ، وعيسى عليه السلام واعدائه من بني اسرائيل ، ورسول الله (ص) وطغاة عصره ، والامام الخميني اليوم واعدائه ومناوئيه ، ولا يصعب على

4290

الانسان ان يميز بين من يعمل لله ومن يعمل لهواه ، ومن يتبع هدى الله تعالى ، ومن ـ تملكه اهواؤه وشهواته ـ .

مصادر الخط:

ولا بد ان نقول كلمة اخيرة ، في نهاية هذه الجولة السريعة عن خط الامام عن مصادر الخط ، ولا نشك ان معرفة المعالم وحدها ، لا تكفي في الاستقامة على الصراط المستقيم ، ولا بد بالاضافة الى معرفة المعالم معرفة مصادر الخط .

فاذا عرف الانسان مصادر الخط ، فلا يمكن ان يأخذ الخط من غير نبعه ، مهما طال به الامد . ان اكثر الانحراف ، في تاريخ الاسلام عن الصراط المستقيم ، ينبع من الجهل بمصادر الخط ، فان الانسان عندما يجهل المصادر الشرعية للدعوة والخط ، يأخذه من يد اي انسان يعرضه عليه .

ولا شك ان رسول الله (ص) كان في حياته ، هو المصدر والملجأ والملاذ الذي يلوذ المسلمون ، لمعرفة المستقيم من المعوج ، والهدى من الضلال ، ولا نشك ان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يترك مثل هذه المسألة

الهامة الحياتية في حياة المسلمين من غير ايضاح ، وهو يعلم بما يحل بهذه الامة ، من اختلاف كبير وواسع ، في الخط والطريق والصراط .

وعندما نرجع نحن الى حديث رسول الله (ص) نجد ان رسول الله (ص) يحدد مصادر الخط بصورة واضحة ، في اكثر من موقع في حياته المباركة ، ولا سيما في اخريات ايامه ، حيث كان يكرر صلى الله عليه وآله (اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي)[1]

فعلينا اذن ان نطبق مفردات الخط واجزاءه دائما بهذين المصدرين : كتاب الله وحديث اهل البيت ، لنعرف بهما سلامة الخط واستقامته . وعلينا ايضاً ان نتوفر على دراسة كتاب الله وحديث اهل البيت ، عليهم السلام ، لنستوحي منهما اصول العمل الصالح ، واصول الخط والتحرك ، ففي كلام الله وحديث اهل البيت نور وهدى وسلامة واستقامة وبصيرة .

---

(١) يروي هذا الحديث بالفاظ متقاربه أئمة الحديث من السنة والشيعة . وبامكان القارىء ان يجد مصادر الحديث في الكتب الموضوعة لهذا الغرض كالغدير والمراجعات **والعبقات** وغير ذلك من المصادر .

VETVS &
NOVVM
TESTA-
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
Apr. - June 1996
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 055380669
CARAE
BP63
.I68A823
1989

من به شما توصیه میکنم کتابهائی چاپ کنید که صد درصد اسلامی است.

۶۰/۸/۲۴ـ امام خمینی

دفتر انتشارات اسلامی

وابسته بجامعهٔ مدرسین حوزه علمیه قم

مراکز پخش:

فروشگاه مرکزی، قم: روبروی اداره راهنمائی، تلفن ۲۳۴۱۹

فروشگاه شماره ۲، قم: سه راه موزه، تلفن ۲۱۸۰۲ و ۳۲۲۱۹

فروشگاه شماره ۳، تهران: فردوسی، نبش کوشک، ۳۸۵۶۸۴۰

فروشگاه شماره ٤، تهران: خیابان انقلاب، جنب جم بتزین دیانا

فروشگاه شماره ۵، مشهد: مقابل باغ رضوان، تلفن ۲۱۰۱۰

فروشگاه شماره ۶، شهرری: خیابان حرم، جنب مسجد خاتم النبیین

فروشگاه شماره ۷، یزد: میدان مصطفی خمینی، تلفن ۲۹٤۱۸

دار الکتب شهید مطهری، شیراز: بلوار امام خمینی تلفن ۵۹۰۲۳

الثمن ۵۵۰ ریال